روايات عبير



بيتي نيلز

فصول النار

١٥٩

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 159

فصول النار

يا للنار حين تستيقظ متأخرة في غابات القلب. لورا قاربت الثلاثين فنام قلبها هانئاً بالثلوج التي احاطت به. ولكن الحب كطائر الفينيق ينفض الرماد ويعيد كتابة الايام من جديد.

اطل الطبيب الهولندي رالف فأحست لورا بالجمر يتحرك معلناً مجيء النار... وتململ الزهر في المستنقعات القديمة. ولكن رالف اخذته الريح صوب شقيقتها الصغرى جويس. فتحطم قلب لورا كاناء من زجاج: فارسها خطف عروساً اخرى ولم يكن امامها سوى الهروب الى النسيان حيث تغرق نفسها في عملها كممرضة، تساعد الأخرين على تخفيف آلامهم وهي الغارقة في الآلام.

وفي يوم الزفاف تهجر جويس رالف، فتهرع الممرضة لمداواة جراحه وهو الأولى بالمعروف. هكذا عاشت لورا قريبة من النار.

ومرت الأيام، لكن النار التي احرقت الماضي وأدفأت الحاضر.. هل تنير ظلام المستقبل؟

١ - الزائر

سمعت لورا صوت محرك سيارة تتوقف قرب المنزل، فاستمرت بتقطيع الخبز وتحضير الزبدة لشاي الساعة الخامسة كما هي العادة عند الانكليز. وهذه المرة لا يقتصر تناول الشاي عليها وعلى ابيها وشقيقتها جويس، بل هم ينتظرون زائرين. ولورا معها الوقت الكافي لانجاز عملها بينما يستقبل والدها الضيفين وتتم شكليات التحية والترحيب.

بدأت بوضع قطع الخبز على طبق وهي مسرورة لرؤية جدها لأمها بعد غياب غير مألوف، اذ اعتاد المجيء من بلده هولندا الى انكلترا مرتين في السنة على الأقل لكنه تخلف عن ذلك بعد تقاعده من مهنته الطبية وضعف صحته. ولحسن الحظ ان صديقاً له كان آتياً

الى انكلترا وتبرع باصطحابه بسيارته لأن العجوز لم يعد يقوى على القيادة.

انهت لورا عملها ونزلت من المطبخ الى غرفة الجلوس. وهناك جلس جدها الدكتور فان دورن دوبيت في احدى الكنبات الواسعة وشبه المهترئة. هرعت اليه لورا وعانقته بحرارة قائلة بصوتها الناعم:

ـ كم انا مسرورة برؤيتك يا جدي! لقد احضرت لك الشاي فلا بد انك تعب.

ابتسم العجوز قائلاً:

ـ عزيزتي لورا، اراك لم تتبدلي ابداً وانا سعيد لرؤيتك باحسن حال. تعالي لاعرفك بصديقي الدكتور رالف فان ميروم.

نظرت لورا الى صديق جدها الذي يتحدث الى جويس باهتمام ملحوظ في الطرف الثاني من الغرفة. اقتربت منه بخطى غير واثقة وحيته بعبارات متلعثمة لأنها صعقت بالمشهد. فرالف هو الرجل الذي نسجت مخيلتها صورته كفارس الأحلام المنشود، وها هو الآن يقف امامها بقامته الفارعة، وعضلاته المفتولة، بشعره الأسود يخالطه شيب خفيف يعكس نضجه واعوامه الفائقة الثلاثين بوضوح، بعينيه السوداوين يظللهما حاجبان كثيفان يزيدان محياه جدية ووقاراً. انه الرجل الذي تحتاج اليه لاسيما انها اصبحت في التاسعة والعشرين من العمر ولم تعد تهتم للشبان العاديين الباحثين عن علاقات عابرة.

بذلت لورا مجهوداً كبيراً لتحافظ على هدوئها وتبادل عبارات المجاملة المعهودة مع رالف، الذي بادلها الكلام بكل تهذيب ثم انصرف الى اكماله محادثته الهامة مع جويس التي لم تتوان عن التدخل بسرعة لتعيد اهتمامه اليها. واهتمام الرجل بجويس لم يفاجىء لورا كون الشقيقة الصغيرة فاتنة الجمال بوجهها الملائكي وعينيها الزرقاوين بصفاء السماء، وبأعوامها العشرين التي تجعلها هدف اي رجل ذواق للجمال.

عادت لورا الى المطبخ لتحضر الشاي وهي تستعيد صور الطفولة في ذاكرتها. فجويس كانت محور اهتمام العائلة منذ ولدت، فكانت الطفلة اللعوب المدللة والتي لا يرد لها طلب. وعندما كبرت صارت محط انظار معا ف العائلة والاصدقاء. كل هذا لم يولد في نفس لورا شعوراً بالغيرة والحسد، فهي فتاة رزينة وتكن لأختها كل محبة، لكن الطبيعة لم تنصفها. فهي لا تتمتع بجمال جويس، ومظهرها عادي جداً بشعرها البني الفاتح، وملامحها الخالية من الجاذبية. اللهم الا اذا سجل لها حسن عينيها العسليتين المحاطتين برموش طويلة، ومع ذلك هي تعلم انهما خاسرتان سلفاً اية مقارنة محتملة بزرقة عيني جويس.

كان من الطبيعي جداً ان يسعد ربّا العائلة لكون الله منّ عليهما بابنة كجويس، ولورا طالما شاركت والديها الشعور عينه. وهي حاولت، بعد موت الوالدة، ان تكون لجويس أماً وشقيقة. ولكن جويس، منذ بلوغها الثانية عشرة، افهمت لورا انها ليست بحاجة لحمايتها او لرفقتها. وبعث رحيل لورا الى لندن لتتخصص في التمريض ارتياحاً في نفس الاختين معاً. والآن غدت لقاءاتهما مقتصرة على ايام العطلة التي تجيء فيها لورا من لندن، وجل ما تفعله في المنزل اراحة جويس من عبء القيام بالوظائف المنزلية لتتمكن من الذهاب حيث ومتى تشاء مع اصدقائها الكثيرين.

عادت لورا بصينية الشاي الى غرفة الجلوس وفوجئت لتبرع الدكتور رالف بحملها. كما لاحظت انزعاج جويس من افلات الرجل من شركها، وهو انزعاج في غير محله اذ ان الرجل يحاول اظهار اللطف واللياقة بدون ان يجول في خاطره اكثر من ذلك..

والدليل على ذلك الابتسامة الفاترة التي قابل بها لورا.

جلس الجميع يحتسون الشاي ويتبادلون الاحاديث في مواضيع مختلفة، وهذا لم يمنع لورا من الملاحظة ان جويس اسرت الدكتور رالف بفتنتها، والفتاة خبيرة حقاً بفن ادارة الرؤوس... ولم تستطع

لورا كتم شعور الغيرة لعدم قدرتها على جلب الرجال كما تفعل شقيقتها الآن.

لم تشارك لورا كثيراً في الأحاديث بل اهتمت بصب الشاي وتقديم قطع الحلوى والخبز والزبدة، ثم جلست الى جانب والدها تنصت اليه بهدوء يناقش تفاصيل مقال نشره مؤخراً في احدى الصحف الانكليزية. ومن وقت الى اخر، رمت الطبيب الهولندي وشقيقتها الجالسين في زاوية على انفراد والغارقين في حديث طويل وحميم على ما يبدو، بنظرات فضولية. . . وتساءلت الى اي مدى وصل الانسجام بين الزائر الوسيم والشقيقة الطروب، والحق انهما يشكلان ثنائياً رائعاً. وجويس، التي علت وجنتيها حمرة وردية من الاثارة، نجحت حتى الآن في ايقاع الطبيب في حبائلها. ازاء هذا الاعجاب المتبادل، سلمت لورا بالأمر وادركت ان لا امل لها برالف. لا شك في انه الرجل الذي يجسد احلامها، لكنه لا يعقل ان يكترث لها، وبوجود جويس يصبح هذا الاحتمال ضئيلاً الى حد الاستحالة.

شرعت لورا بجمع الفناجين بخفة حتى لا تزعج المتحادثين وهي تتمنى لو انها لم تر لهذا الرجل وجهاً، فها هو الآن يتدخل ليزعزع اركان حياتها الرتيبة والمقنعة في آن، ولكن يدخلها من باب جويس القاتنة. عادت الممرضة البائسة الى ملاذها الوحيد، المطبخ، حيث اطعمت الهرة سوكي وبدأت تحضير طعام العشاء، مفترضة ان والدها سيدعو رالف الى مائدته.

وضعت الحساء، الذي اعدته في الصباح على نار خفيفة والحساء وجبة اساسية تلائم طقس نيسان البارد ليلاً. ثم بدأت باعداد فطائر محشوة بجبن شهي اشترته بعد الظهر عندما قامت بجولة تسوق. واخيراً اعدت سلطة خضار متنوعة فيها الخس والخيار والبندورة، كما رتبت وعاء الفاكهة ليختم بها العشاء المرتقب.

القت لورا نظرة اخيرة على غرفة الطعام ذات الاثاث المتواضع الذي افقدته السنوات الكثير من رونقه، لكن حسها الجمالي جعلها

تعرف كيف ترتب الغرفة بشكل تبدو معه دافئة على بساطة كبيرة، والنار الخفيفة التي اوقدتها في المدفأة لعبت الدور الرئيسي في ذلك.

بعدما اطمأنت الى توافر اسباب الراحة للضيف المهم، صعدت الى غرفتها لترتب هندامها قبل تقديم العصير للجميع.

تقع غرفة لورا في الجهة الخلفية من المنزل، وهي غرفة مربعة يدخلها الهواء والشمس بسهولة، مفروشة بأثاث ابيض. جلست الفتاة على الكرسي تنظر في المرآة العريضة الموضوعة مع طاولة قرب السرير، وهي لا تنوي ابداً تصفيف شعرها او تزيين وجهها. وجل ما فعلته انها نظرت الى ملامحها بعين ناقدة. ليست لورا قبيحة ولكنها ليست جميلة ايضاً. شعرها البني الحريري المنسدل الى وسط ظهرها تفسد حسنه الطريقة العادية التي تصففه بها، فهي ترفعه وتعقده عالياً لضرورات العمل في المستشفى. اما العينان فلا بأس بهما على الاطلاق وان كانتا خاليتين من اي سحر او جاذبية. الفم والأنف عاديان جداً كأنهما على الحياد لا يقدمان ولا يؤخران. وبالاجمال، وجهها المقبول وقامتها المتوسطة الطول وثيابها الخالية من اي قوة ايحائية، لا تجعل الجنس الآخر يلتفت اليها كثيراً. . .

كل هذا لا يمنع انها فتاة ذكية وممرضة ماهرة مسؤولة عن احد اجنحة مستشفى «المحبة» الكبير في لندن. اضافة الى ذلك هي ممتازة في ادارة شؤون المنزل وفنون الطبخ، كما انها تحسن الاعتناء بالاطفال ومحبوبة من جميع اصدقائها على قلتهم. ومن جهة اخرى لورا انسانة حادة الطباع عندما تثور ثائرتها، وهو امر لا يحصل غالباً ولكنه اذا حصل يجعلها عنيدة الى درجة لا توصف. توصلت لورا منذ زمن بعيد الى اتفاق مع نفسها على قبول الحياة كما هي حتى ولو جاءت مخيبة لامالها وطموحاتها، فهي لم تتذمر يوماً من حالتها وتظهر دوماً الاقتناع والرضى.

وبصورة لا شعورية شرعت تكلم صورتها المنعكسة في المرآة:

- لحسن الحظ انك تعودين الى المستشفى قبل ان تبدأ الافكار

جويس وقالت:
ـ اخالك عانساً عندما تتكلمين بهذه الطريقة يا لورا، وانت ما زلت تحتفظين ببعض الشباب.
ضحك الجميع بمشاركة لورا التي تعلم في قرارة نفسها ان شقيقتها سيئة النية في مزاحها المزعوم وانها قصدت اهانتها ليس الا. وقصدت كذلك توجيه هذه الاهانة امام رالف لاعلامه بطرق لورا ابواب الثلاثين، وهو في اي حال لاحظ ذلك دونما حاجة الى معونة جويس. والموجع في الأمر ان جويس تعتبر اختها غير جديرة باثارة اهتمام الرجال وهي تتمتع بذلك بتشف.
بعد تناول الجميع الفطور في الصباح انطلق رالف بسيارته الفخمة وبصحبته لورا متوجهين الى لندن. غرقت الفتاة في مقعد السيارة الوثير علها تعوض شيئاً من الراحة التي لم تعرفها بعد ان امضت ليلة من الارق، لكنها خشيت من ان يقود رالف سيارته بسرعة وهي لم تكن تتوقع انه يهوى قيادة مثل هذه السيارات التي تشد عادة الشباب المتهورين. اخطأت لورا في خشيتها لأن رالف سائق ماهر، يقود بسرعة وحذر، فشعرت بالارتياح ونسيت قلقها متمتعة بالرحلة الحلوة. وظلت صامتة كونها لاحظت عدم رغبته بالكلام، ولم يتبدد الصمت الا في منتصف الطريق لما سألها رالف فجأة:
ـ قالت لي جويس انها تركت عملها مؤخراً، اهي تنوي ان تصبح ممرضة مثلك؟
لم تستطع جويس الاستقرار في وظيفة واحدة، وهي استطاعت دوماً ايجاد الحجة المناسبة لتركها العمل: الجو لا يعجبها، المؤسسة لا تعمل كما يجب، المركز لا يرضي طموحاتها، الاجر ضئيل. . .
لكن لورا الوفية لا ترضى بفضح مساوىء شقيقتها فاكتفت بالقول:
ـ رقة جويس لا تسمح لها بخوض غمار مهنة التمريض القاسية، فهي لا تتحمل رؤية المرض والتعامل مع آلام الآخرين. والحقيقة

ان فتاة في عمرها لا تستطيع ايجاد طريق المستقبل بسهولة، لكنني اعتقد ان شقيقتي ستلازم البيت. . .
ـ لكنك لم تلازمي البيت.
ـ لم افعل لأن مهنة التمريض كانت هدفي منذ الطفولة.
لم تخبره لورا بأنها ارادت ان تصبح طبيبة لولا ان معظم مال العائلة ذهب على تعليم جويس في ارقى المدارس، الأمر الذي حرمها دخول كلية الطب. واستطاعت لورا بتصميمها التغلب على الخيبة، وها هي الآن سعيدة بما تفعل، مقتنعة بصواب اختيارها. انما ينقصها امر واحد: رجل يبادلها الحب ويشاطرها رحلة الحياة. ورالف هو هذا الرجل وان يكن لا يبادلها الشعور عينه، حتى لا تقول لا يكترث بوجودها البتة. وبينما هي غارقة في افكارها انتشلها من الشرود فجأة:
ـ لا بد ان جمال جويس الخارق يجذب الكثير من الاصدقاء.
ـ صحيح ولكنها لا تملك واحداً معيناً.

فوجئت لورا بسؤاله:
ـ وانت؟
فأجابت باقتضاب قبل ان تغير الموضوع:
ـ انا كذلك. اتنوي البقاء طويلاً في انكلترا؟
دخلت السيارة ضواحي لندن فخفف رالف من سرعته بعض الشيء. ثم تنهد كأنه يحسب الأيام واجاب:
ـ سأبقى حوالى الاسبوع. علي الذهاب الى برمنغهام بعد بضعة ايام وبعدها الى ادنبره آمل ان اراك ثانية قبل العودة الى هولندا.
ـ الن تصطحب جدي؟
ـ بالطبع.
عندها اقترحت لورا بكل حزم:
ـ هذا يعني انك ستزورنا من جديد، خاصة ان والدي وجويس. . . سيسران كثيراً بذلك. ارجوك لا تنتظر دعوة رسمية

لتزورنا.

ـ سأرى ما اذا كان بامكاني تمضية الليل عندكم وانا في طريقي الى برمنغهام، وربما استطعت بذلك ان اقلك الى البيت لان رحلتي توافق يوم الجمعة او السبت على ابعد تقدير.

ترددت لورا قبل ان ترفض فقلبها يحثها على القبول في حين ان عقلها يدفعها الى الاحجام، قالت بكل ما تملك من موهبة تمثيلية:

ـ خسارة! لقد وعدت احدى الممرضات بالحلول مكانها في نهاية الاسبوع ووعد الحر دين. شكراً على الدعوة اللطيفة.

عليها ان تتذكر، بعد تلفيق هذه الاكذوبة، اعلام بات ايمري مساعدتها في ادارة الجناح، بمنحها عطلة نهاية الاسبوع وخلق عذر ما كي تبقى في الوظيفة بدلاً منها.

نظرت لورا الى ساعتها واقترحت:

ـ ما زال الوقت باكراً، فهلا انزلتني في ستراتفورد برودواي حيث استقل الباص الى المستشفى.

ـ لا حاجة لذلك فانا ذاهب الى مستشفى المحبة لاقابل الدكتور بيرنيت.

ولورا ايضاً ستقابل الدكتور بيرنيت فهو رئيس قسم الجراحة في المستشفى وطبيب ماهر ومعروف.

ـ حسناً، وهل تعرف الطريق الى المستشفى؟

برهن رالف على حسن المامه بالطرقات بولوجه طريقاً مختصرة تتغلغل بين الازقة متحاشياً المرور على الطريق الرئيسية حيث الازدحام الخانق في السير:

ـ هل زرت جدك يوماً في هولندا يا لورا؟

ـ لا ولكنني اتمنى السفر الى هناك. اعتاد جدي المجيء الينا، فهو وابي صديقان حميمان، عندما يجلسان للتحدث في المواضيع الطبية يغدو من الصعوبة بمكان ايقافهما...

سكتت لورا فجأة اذ شاهدا ازدحاماً شديداً امامهما وسمعا

اصوات المكابح تضغط بشدة لتتحاشى الاصطدام بشيء ما. ثم سمعا انين كلب جريح لم يتمكنا من رؤيته الا بعد انعطاف السيارة امامهما الى اليمين، فأمرت لورا:

ـ اوقف السيارة!

حلت الفتاة حزام الأمان وفتحت الباب مسرعة لنجدة الحيوان المسكين. تبعها الدكتور رالف قائلاً:

ـ مهلك يا لورا، سألقي نظرة عليه.

لكن الفتاة كانت ابعد ما تكون عن الهدوء والتمهل اذ صاحت:

ـ لا تتركه مرمياً على الطريق! يقودون سياراتهم كالمجانين غير آبهين بالعواقب..

وصل رالف الى الكلب وتفحصه قليلاً ثم حمله الى السيارة رغم اصوات المارة المحذرة من عضة تكون مكافأة له على اهتمامه، لكن المخلوق التعيس مصاب لدرجة تعجزه عن عض احد فهو يكاد لا يتنفس. نزعت لورا المشلح عن كتفيها وفرشته على ركبتيها حيث وضع رالف الكلب الجريح.

قال الطبيب الشاب:

ـ دهسته سيارة وكسرت قائمتيه الخلفيتين. اتظنين اننا نستطيع معالجته في مستشفاكم؟

رمقته لورا بنظرة اكبار واجابت:

ـ المسؤولة عن قسم الطوارىء صديقتي وستدبر الأمر بطريقة، داعبت الحيوان المتألم بنعومة واضافت، اتستطيع الاسراع فلا بد ان المسكين يشعر بآلام فظيعة. آه لو اعرف من صدمه.

تكلمت لورا بانفعال وغضب جعلا رالف ينظر اليها باندهاش، لكنه بقي صامتاً وقاد باقصى سرعة ممكنة حتى وصلا الى المستشفى وولجاه من مدخل قسم الطوارىء. بقيت لورا في السيارة بينما توجه رالف الى الداخل وعاد مصطحباً الممرضة المسؤولة سيلفيا مائيوز التي بادرت الى القول:

- اهلاً يا لورا، ما قصة الحالة المستعجلة التي اخبرني عنها الدكتور رالف؟ (نظرت سيلفيا الى الكلب واردفت) يبدو ان القضية مستعجلة. هل استدعي احد الاطباء ام تتولى الامر بنفسك دكتور رالف؟

- سأتدبر الأمر بنفسي ولكنني بحاجة لاحد كي يحقن الكلب بالبنج، فهل انت حرة الآن؟

- في الوقت الحاضر نعم. سنضع الكلب التعيس في غرفة شاغرة، ولكن حذار من ان يرانا احد.

طمأن رالف مخاوف الممرضة ماثيوز قائلاً:

- انا مستعد لتحمل المسؤولية وتلقي لوم ادارة المستشفى، نظر الى لورا متابعاً، حاولي الخروج وانت تحملين الكلب تخفيفاً للوجع.

نفذت لورا امره ودخل الثلاثة قسم الطوارىء الى الغرفة التي تدبرتها الممرضة ماثيوز، وتوجهت الاخيرة لاحضار المعدات اللازمة وعادت بعد قليل ويصحبتها طبيب اختصاصي في البنج. توقف هذا الاخير لما ولج الغرفة محدقاً في مريضه بتعجب وهز رأسه قائلاً:

- آسف يا لورا، ولكني لا استطيع... ثم لمح رالف واعتذر، آسف يا سيدي، الست زميل الدكتور بيرنيت الهولندي؟ اعلمتنا ادارة المستشفى بمجيئك.

نزع رالف معطفه معلقاً:

- رائع. هلا حضرت المريض للعملية، وارجو ان تحقنه بما يخدره طويلاً حتى نستطيع معالجته بشكل جيد، ابتسم رالف بمودة وتابع، لم تعرفني بنفسك.

- جيريمي كلارك. اعمل مع الدكتور بيرنيت منذ ستة اشهر. سأحضر المخدر والحقنة.

حمل رالف الكلب ووضعه على الطاولة، فنهضت لورا وحضرت نفسها للمساعدة كما لو كان الأمر يتعلق بمريض عادي. لما نظر الطبيب الهولندي اليها اوضحت:

- استطيع البقاء معكم حتى الحادية عشرة موعد بدء نوبتي، وسيلفيا ستبقى خارج الغرفة لتتولى ابعاد اي متطفل ثرثار.

وافقت سيلفيا على ذلك مضيفة:

- ستكون القهوة جاهزة في مكتبي بعد الانتهاء.

وخرجت ملوحة بيدها وناظرة الى لورا نظرة تواطؤ وتفهم.

فوجىء الدكتور رالف كون الكلب مصاباً بكسور طفيفة في قائمتيه فحسب، فسوى الأمر بسرعة ووضعها في الجص قبل ان ينصرف للبحث عن جروح وكدمات اخرى. بعد دقائق طويلة من العمل الجاد رفع عينيه الى لورا والدكتور كلارك قائلاً:

- لا شيء سوى بعض الرضوض البسيطة. ماذا سنفعل بالكلب الآن؟

هنا اقترح كلارك:

- ما رأيك بوضعه في مأوى خاص بالحيوانات؟

وانفجرت لورا غاضبة:

- لا! لا بد ان له مالكاً يبحث عنه، سنبلغ الشرطة ونضع الاعلانات في الصحف حتى يطالب به احد، وفي هذا الوقت سأبقيه في غرفتي...

قاطعها رالف:

اشك في ان يكون له مالك نظراً الى هزاله والى عدم وجود طوق حول عنقه. سأبقيه معي مؤقتاً يا لورا.

اضاء الارتياح وجه لورا وقالت:

- فكرة عظيمة، ولكن اين ستضعه وانت دائم التنقل؟ فحالته لا تسمح بابقائه في السيارة.

- لا تخافي سأضعه عند صديق يستضيفني هنا في لندن، وهو يحب الكلاب كثيراً وسيؤمن له الرعاية اللازمة حتى اتدبر امره نهائياً.

لم تقتنع لورا بأقوال الطبيب فسألت:

- ما مصيره عندما يحين موعد عودتك الى هولندا؟

اجاب رالف وهو يغسل يديه.
- سآخذه معي فيشكل رفيقاً مسلياً لكلب الصيد الهرم الذي املكه.
تنهدت لورا مسرورة وعلقت:
- نعم الامر! ماذا سنفعل به الآن؟
- احضري لي سلة او علبة لاضعه فيها واحمله الى السيارة ريثما انهي عملي مع الدكتور بيرنيت.
استوضح كلارك:
- الن تلقي محاضرة اليوم يا دكتور فان ميروم؟
- بالطبع ولكني لن اطيل عليكم الكلام حتى لا تستسلموا للنوم.
ارتدى رالف معطفه بينما لورا تضع في صندوق خشبي وجدته اوراقاً وقطناً ليستلقي «المريض» عليها. بعد تنفيذ المهمة تناول الجميع القهوة في مكتب سيلفيا ماثيوز حيث لم تمكث لورا سوى بضع دقائق وانسحبت بعد ان شكرت رالف وجيريمي والممرضة. وعمدت الى توديع رالف دون ان تتمنى رؤيته من جديد كما تفرض الشكليات لعلها في ذلك تدفع عنها شعوراً يائساً ومشروعاً تعلم ان نصيبه الفشل. ورغم ذلك لم تستطع الا ان تنظر الى رالف قائلة برقة:
- شكراً على الرحلة الجميلة وعلى اهتمامك بالحيوان التعس.
رمقها الطبيب بنظرة ثاقبة وقال:
- لقد وجهت لي امراً عسكرياً صارماً بالتوقف على ما اذكر، ولكنني اؤكد لك اني كنت سأفعل الشيء نفسه بدون ان تتفوهي بكلمة!
منحته لورا افضل ابتسامة لديها جعلتها تبدو، ولو للحظة، جذابة وقالت بمكر:
- سأستعلم عن صحة الكلب بواسطة جويس...
في هذه اللحظة وصل ممرض وبيده حقيبة لورا فأخذتها وتوجهت الى عملها لتهتم بالحالات اليومية العادية. مصابون بكسور،

حروق، رضوض... وما شاكل. غرقت لورا في تفحص كل حالة لترى اذا كانت احداها تستدعي حجز سرير لابقاء المريض قيد المعالجة، ولكنها وجدت جميع الحالات بسيطة لا تستوجب اكثر من المعالجة الموضعية يرسل المصاب بعدها الى بيته. وبالرغم من كثرة العمل وجدت فيه لورا متنفساً للقلق والمتاعب... ولو الى حين.
مر الوقت بسرعة مذهلة ولما فرغت لورا من عملها توجهت الى القسم المخصص لسكنى الممرضات وهي تشعر بالوحدة القاتلة والفراغ المضجر.
فتحت باب غرفتها الصغيرة والمريحة والتساؤلات تدور في رأسها. اعترفت انها تتصرف بحماقة وان عليها حسم الامر بسرعة، فمن المستبعد ان ترى لرالف وجهاً بعد اليوم ولذا عليها ان تبدأ بنسيانه منذ الآن وخنق الحب في مهده حتى لا تصعب عليها الأمور وتغدو مشكلتها مستعصية.

٢ - الحب المستحيل

التقت لورا برالف من جديد بينما كان يرافق الدكتور بيرنيت في جولته الاسبوعية التي يتفقد خلالها مرضاه. حياها بشيء من البرود ولم ينس ان يطمئنها الى تحسن حالة الكلب.

ابدت لورا سرورها لذلك بدون ان تخرج عن حدود الجدية اللازمة في ممرضة مسؤولة تقوم بارشاد الطبيب الى المرضى واعطائه لمحة عن حالة كل منهم. وزادها رصانة الثوب الازرق والقبعة الصغيرة الموضوعة على رأسها بترتيب خبئة شعرها المعقود داخلها.

سلمت الى بيرنيت قسيمة المريض الأول معلقة بصوتها الناعم والواضح:

- آرثر ترو ، ادخل الى المستشفى في العاشرة من ليل امس.

مصاب بحروق في الوجه، ارتجاج في الدماغ، وكسر مزدوج في ساعده الايمن.

تحدث بيرنيت كعادته الى نفسه قبل ان ينهي تفحص الملف ويقول بصوت عال:

- هل كل شيء يسير حسناً بالنسبة الى حالة المريض ترو يا جورج؟

جورج وايت جراح شاب، يتمتع بقدر كبير من الجدية والتفاني في العمل، يمكن الاعتماد عليه في اشد الملمات ويكاد لا يهدأ لكثرة ما يعمل. لكن شخصيته تخلو مع الاسف من الجاذبية والاثارة، فهو بليد وممل ولا يملك ذرة من روح المرح. تمهل بطؤه في تلاوة التقرير مع ان الدكتور بيرنيت بدا على عجلة من امره للبدء بمعاينة المريض، ولورا فطنت لذلك وبدأت بتحضير المريض بشيء من الصعوبة كونه ما يزال فاقد الوعي غير قادر على الحراك. واستطاعت بعد جهد وبمساعدة ممرضة متدرجة اعداد العدة ليلقي بيرنيت نظرة سريعة على الرجل، قبل ان ينتقل الجميع الى حافة سرير اخر.

من جديد اعطت لورا المعلومات للاطباء الثلاثة:

- الفريد تريم. نزعت القطب البارحة بعد ابلاله من القرحة.

نزعت لورا الاغطية ووقف الجميع يتأملون ما صنعته يدا الدكتور بيرنيت الماهرتان، وقال الجراح بشيء من الاعجاب بنفسه:

- اظن ان علينا ارساله الى بيته في وقت قريب.

في السرير التالي تمدد شاب بدا عليه التعب واشتداد المرض. وبثقة المحترف اعلنت لورا:

- جرح عميق سببته طعنة من آلة حادة في الصدر، غيرت الضمادات منذ ساعة تقريباً.

وقف بيرنيت يفكر عميقاً ثم اقترح:

- سنلقي نظرة على هذا الجرح.

اقترب الاطباء الثلاثة من الجريح وعاينوه بدقة متبادلين الآراء

الطبية، والتي كان دور جورج وايت فيها الموافقة على كل ما قاله بيرنيت ورالف، واخيراً كانت الكلمة الفصل لبيرنيت:
ـ سندخله الى غرفة العمليات في الخامسة بعد الظهر.
وبالطبع وافق الجميع اذ لا احد يعارض قرارات رئيس قسم الجراحة في المستشفى. مع الاشارة الى ان الخامسة موعد غير مناسب جداً من الناحية الادارية لاجراء العمليات. وسبب ذلك ان لورا تنهي دوامها في الخامسة وزميلتها بات لا تعود قبل السادسة، ولا احد غيرهما يستطيع المساعدة في العمليات، وبالتالي اصبح لزاماً عليها البقاء في الخدمة ساعة اضافية. كتمت لورا تنهيدة تعبة في اللحظة ذاتها التي التقت عيني رالف فان ميروم، فغمرها شعور بالذنب دون ان تدري سببه. ولما ابتسم لها رالف زاد اضطرابها وتجهم وجهها كأنه يعلم ما يدور في خلدها، وكأنها خانت مبادىء مهنتها السامية.

رالف رجل مقلق ومزعج دخل حياتها من حيث لا تدري وقلب مسارها رأساً على عقب. ومجنون من قال انه من الافضل ان تحب وتفشل من ان لا تعرف طعم الحب ابداً. فلورا كانت تعيش بهدوء مقتنعة بواقعها، معترفة بعدم حصولها على السعادة، ولكنها في الوقت نفسه ناجية من الشقاء. والآن ها هي كمن اجتاحها اعصار يحملها الى حيث قد لا تنجح في حط الرحال بأمان.

السرير التالي كان فارغاً بانتظار نزيل جديد فانتقل الجميع الى السرير الذي بعده. ازاحت الممرضة المساعدة الستائر عن رجل عجوز خضع لعملية جراحية في الامعاء منذ يومين وحالته لم تسجل اي تحسن، والدكتور بيرنيت ألمح الى ان العجوز تايلر لن يعيش طويلاً. نظرت لورا الى الوجه الهرم بتعاطف ورجاء بأن يموت الرجل بهدوء وبدون ان يتعرض لكثير من الألم. لم يسع الدكتور بيرنيت سوى تبادل حديث قصير كاذب مع تايلر طمأنه فيه بأن حالته ستتحسن قريباً وانه سيتعافى ويعود الى سابق عهده. واشرك بيرنيت رالف في الحديث ليدعمه في اكاذيبه الضرورية لتهدئة روع المريض،

واستمعت لورا باعجاب الى كلام الطبيب الهولندي بانكليزيته الممتازة وبحسن انتقائه الكلمات المناسبة للحالة اليائسة التي يوجد فيها المريض. وهنا ادركت لورا انها لأحبت رالف مهما كان ومهما فعل، وكونه طبيباً متمتعاً بهذا الهدوء وهذه الرزانة ما هو الا سبب فوق سبب يجعلها تغرق في حبه اعمق فاعمق.

انهى الدكتور بيرنيت معاينة المرضى الثلاثة التالين بسرعة، فهم شبان خضعوا لعمليات نزع الزائدة الدودية. وها هم الآن شبه متعافين على وشك العودة الى بيوتهم، وفي انتظار ذلك يمضون ايامهم بلعب الورق ومعاكسة الممرضات. لكن الخبرة الطويلة في هذا الحقل علمت لورا كيفية التعامل مع هذه الأمور، فخير وسيلة لدفع ازعاج مثل هؤلاء الشبان هو مصادقتهم وبذلك يخجلون من القيام بأي عمل مسيء لهذه الصداقة. وبالفعل تمكنت من ترويض الشبان الثلاثة وجعلهم يطيعون اوامرها دون مناقشة.

حيا الشبان الدكتور بيرنيت بحرارة مؤكدين بانهم في افضل حال، وان الممرضة لورا ملاكهم الحارس، كما تمنوا عليه العمل على نزع القطب بسرعة ليعودوا الى بيوتهم. تولت لورا طمأنة الشبان وتطييب خواطرهم بنبرة الأم العطوف، كما اكدت لهم ان مغادرتهم المستشفى باتت قريبة جداً. بعد ذلك حان وقت معاينة السيد بلايك رجل نحيف جداً، في الاربعين من عمره. خضع لعملية بسيطة في ساقه، ومع ذلك فهو لا يكف عن التذمر وكأن نهاية العالم على الأبواب. وقف بيرنيت وصحبه يستمعون الى شكاوى بلايك المتوالية كسيل مدرار: الطعام رديء، معاملة الاطباء والممرضات قاسية وخص لورا بهجاء طويل عريض وبخاصة لانها ترغمه على السير يومياً الى الحمام ليغتسل... ولو كانت النظرات سلاحاً قاتلاً لما صمدت لورا لحظة امام الشرر المتطاير من عينيه وهو يتحدث عنها. وقاطعه بيرنيت اخيراً قائلاً انه سيرسل قريباً الى بيته ليمضي فترة النقاهة هناك حيث لن يجد موضوعاً للتذمر، وانهى الطبيب كلامه

بشيء من الحدة:

ـ لكني لا اعتقد انك ستجد في بيتك او في غيره الطف من الممرضة لورا ستانديش. ابتعد بيرنيت غاضباً وهو يتمتم فسارعت لورا الى تهدئته مشيرة الى التحسن السريع في حالة المريض التالي.

بعد انتهاء الجولة جلس الجميع في مكتب لورا يحتسون القهوة الساخنة، ومن جملة الحديث قول بيرنيت:

ـ بالله عليك يا لورا كيف تستطيعين القيام بمهمتك وتحمل كل هذه المشاق؟ حبذا لو تجدين لك عريساً يريحك من هذه المصيبة! تزوجي قبل ان تفقدي الحماس اللازم.

شرب الطبيب جرعة من السائل الساخن واضاف، سأرسل بلايك المزعج الى بيته في الغد فحالته لم تعد تستوجب ابقاءه هنا ليحتل سريرا ويسبب لك وجع الرأس بمضايقاته.

علقت لورا على ذلك بارتياح:

ـ هذا كل ما اتمناه، فبلايك لا يطاق ابداً. ولحسن الحظ امثاله قليلون كما تعلم يا سيدي الطبيب.

مرر بيرنيت فنجانه لمزيد من القهوة وتنهد قائلاً:

ـ ليتني لم اكن بسن ابيك ومتزوجاً لأحلك واطير بك من هذا السجن اللعين.

ضحك الجميع لانهم على يقين بأن لورا هي اخر من يترك المستشفى. وهذا اليقين لطالما كان مدار ثرثرة الممرضات، وقد بلغ لورا ان رئيسة قسم الممرضات قالت عنها مرة انها باقية في المستشفى حتى اليوم الأخير من حياتها. وبالطبع لم يكن في ذلك شيء من المديح بل تهكم وسخرية. وكأن لورا عاجزة عن خوض الحياة كسائر الفتيات مسخرة نفسها لخدمة المرضى ومساعدة المعذبين.

تأهب الكل للرحيل وتوجه رالف فان ميروم الى الباب متمتماً بسرعة بعض عبارات الشكر. بعد رحيلهم جلست لورا خلف مكتبها لا عمل لديها تقوم به حتى جاءت بات لتحضر واياها برنامج

العمليات الجراحية المقررة للغد.

تمكنت لورا من تناسي الطبيب الهولندي في الأيام التي تلت زيارته للمستشفى وذلك بفضل عملها الكثيف، ومخالطتها الكثير من الناس. وهي تملك في المستشفى اصدقاء عديدين، وزملاؤها يحبونها ويقدرونها ويستسيغون صحبتها. لذلك افلتت من الشعور بالوحدة وتجنبت تذكر الخيبة. لكن اتصال جويس الهاتفي افسد الأمر لما اخبرتها ان الدكتور فان ميروم سيمضي نهاية الاسبوع عندهم وانه سيصطحبها الى العشاء. وابلغتها كذلك انها سترتدي الفستان الازرق للمناسبة والاحمر لليوم التالي اذ سيمضيان النهار معاً خارج المنزل. وختمت جويس كلامها بالسؤال:

ـ اتعتقدين انه غني يا لورا؟

ـ لا اعلم. الم يقل شيئاً عن الكلب؟

ـ بلى، قال انه سيحضر كلباً معه لان قائمتيه مكسورتان. سأتدبر الأمر واجد من يأخذ الحيوان ويريحنا من ازعاجه.

لم تتصور لورا ان يحنث رالف بوعده ويتخلى عن تنفيذ شيء تعهد به. لقد وعدها برعاية الكلب، فهل يرضخ لرغبة جويس بالتخلص منه؟

زل لسان لورا عندما قالت:

ـ انه كلب صغير جداً وغير مؤذ.

سألت جويس بعد صمت قصير:

ـ كيف تعرفين ذلك؟

اجابت لورا:

ـ صدمته سيارة اثناء حضورنا الى لندن فأخذناه و...

لم تكن هذه التفاصيل تهم جويس فقاطعت شقيقتها:

ـ هل رأيت رالف؟

ـ قام بجولة تفقدية مع الدكتور بيرنيت في اوائل الاسبوع لكننا لم نتبادل كلاماً يذكر. قالت لورا ذلك وهي تعلم ان جويس لا تغار منها

او تخاف من احتمال ان تسلبها رالف، فلا يعقل ان يلتفت رجل بوسامة الهولندي الى فتاة دقت ابواب الثلاثين. لأن سن الثلاثين بنظر جويس هي نهاية القدرة على الاغراء.

عادت لورا الى منزل ذويها في نهاية الاسبوع التالي دون ان ترى رالف في بحر الاسبوع. والخبر الوحيد الذي اتاها منه رسالة صغيرة تركها على مكتبها ويقول فيها انه قفل الى هولندا مصطحباً الكلب معه بعد ان اضحى في صحة جيدة بالرغم من تضايقه من الجص. انهى رالف رسالته بعبارت التحية والاخلاص، فطوتها لورا مصممة من جديد على عدم التفكير به.

شتان ما بين القول والفعل. فهي لم تكد تصل الى البيت حتى وجدت ان رالف صار محور احاديث جويس، وكيف امضيا يومين رائعين، وانه سيعود في اسرع وقت ممكن ليراها. واكدت الشقيقة الصغرى بثقة:

ـ اوقعته بحبائلي. صحيح انه متقدم في السن بعض الشيء، لكنه رجل مميز، وجدي يقول ان شهرته في هولندا واسعة وانه يقتني عيادة ضخمة في هيلفرسوم وهي منطقة تنتشر فيها قصور اغنياء هولندا، تابعت جويس واحلام السعادة تدغدغ مخيلتها، لا بد انه ثري. لم اعد اجرؤ على طرح الاسئلة فهلا استعلمت لي المزيد عن رالف من جدي.

هزت لورا رأسها رافضة لأن جدها لا يحب الثرثرة والكلام على شؤون الاخرين.

ـ لم كل هذا التشوق للاطلاع على تفاصيل حياة الدكتور فان ميروم يا جويس؟

ابتسمت جويس بخبث واجابت:

ـ لانني لا امانع ان اصبح زوجة لطبيب ما دام يملك اكداساً من المال والنجاح. وبذلك احظى بحياة هنيئة لا تعب فيها ولا عناء القيام باعمال المنزل كما تفعل زوجة الدكتور وول في قريتنا الحقيرة.

لم تنسق لورا وراء مزاعم شقيقتها، فجويس تغرم بواحد جديد كل اسبوعين او ثلاثة على ابعد تقدير. قد تكون مشاعرها نحو رالف فان ميروم حقيقية، دون ان يحول ذلك بينها وبين الوقوع في شباك فارس ثان اذا اعجبها او اذا امتلك ميزات تفوق تلك التي يملكها رالف.

علقت لورا على كلام اختها بواقعية وهي تعني كل ما تقول بحرارة:

ـ الحظ لا يبتسم للمرء دائماً ولعله ابتسم لك الآن فاعرفي كيفية استغلال الفرصة.

بغنج ومرح قالت جويس:

ـ ما رأيك بالمراهنة على ذلك؟ ماتت زوجة رالف منذ عدة سنوات ومن يومها ما يزال وحيداً. اصبح في الثامنة والثلاثين بدون ان يدري انه بحاجة لامرأة الى ان رآني ووقع في فخ جمالي مدركاً هول الفراغ الذي عاش فيه.

كانت لورا جالسة على الحافة العريضة للنافذة المفتوحة، فشعرت بالبرد لأن الطقس في نيسان لا يزال غير دافىء تماماً. اقفلت النافذة وهي ترتجف من البرد مضافاً الى اسباب اخرى.

ـ اما يزال والدي وجدي يلعبان الشطرنج؟

اجابت جويس:

ـ ومن اين لي ان اعلم؟ اذهبي وانظري بنفسك.

سرت لورا بعودتها الى العمل مع انها تحب البقاء في البيت، فالتنقل بين الاسرة طوال النهار ينسيها متاعبها الشخصية. وهذا الاسبوع مخصص لقبول المرضى الجدد مما يعني ان العمل كان كثيفاً للغاية واليوم يمضي بسرعة البرق. كيف لا وهي لا تكاد تنتهي من تفقد الاسرة، حتى تتأكد من ارسال المرضى الى غرفة العمليات في المواعيد المحددة، وتؤمن لهم العناية اللازمة بعد عودتهم. والى ذلك تضاف مضايقة العاملين معها، من تأخر جماعة المختبر في ارسال

نتائج التحاليل الطبية، الى نظريات المساعدة الاجتماعية التي تنتدبها الحكومة للعمل في المستشفى، واخيراً وليس آخراً عصبية الدكتور بيرنيت التي تزيد في ايام قبول الحالات الجديدة. وكأن ذلك لا يكفي لورا، فلما تهرب الى مكتبها لتنتهي بعض الأعمال وتزيل ارتال الورق عن طاولتها، تحضر الممرضات طالبات تغيير ايام العطل او تبديل وقت الخدمة. . . بذلت لورا مجهوداً كبيراً لترضي الجميع فهي تفهم زميلاتها الصغيرات كونها مرت بالفترة ذاتها وتعلم ان التوفيق بين متطلبات المهنة والحياة الخاصة امر في غاية الصعوبة. وتوصلت اخيراً الى تسوية الامر على حسابها اذ قررت ان تتخلى عن عطلتها الاسبوعية والبقاء في المستشفى لتلبية حاجات المرضى، في اي حال يظل هذا ارحم من الذهاب الى البيت والاستماع الى جويس تمتدح رالف وتعدد مآثره. . . تمنت لورا ان تنتهي القضية بشكل ما، وهذا الشكل يبدو واضحاً بعض الشيء لان جويس متى قررت الحصول على مبتغاها توصلت الى ذلك بشتى الوسائل.

من المؤسف ان الوالد قرر اخيراً ابقاء جويس في البيت وعدم ارغامها على ايجاد وظيفة، واحضر مدبرة منزل لتساعدها في الأعمال اليومية لأنها، اي جويس، غير قادرة على القيام بكل الاعباء المنزلية. وهذا يعني ان جويس صارت حرة من الآن فصاعداً من اي واجب، وباستطاعتها تمضية وقتها في التخطيط لتشديد الطوق حول عنق الدكتور رالف فان ميروم حارمة شقيقتها الكبرى من رؤية اي بارقة امل تلوح في افق حبها المعذب.

ذهبت لورا الى بيتها في الاسبوع الذي تلا لتمضي يومي السبت والأحد. وصلت الى محطة القطار ولم تجد والدها او جويس بانتظارها ليصطحباها بالسيارة كما وعدا. انتظرت قليلاً ثم اتصلت بالمنزل هاتفياً، فأجابتها السيدة ويتاكر مدبرة المنزل الجديدة. بدا للورا ان المرأة لطيفة ومهذبة لكنها صماء بعض الشيء، فاضطرت الى تكرار السؤال عن جويس وابيها مرات ومرات حتى استوعبت المرأة اخيراً

واجابت ان لا احد غيرها في المنزل. امضت لورا وقتاً طويلاً لافهام السيدة ويتاكر بأنها ستكلف باتيس احضارها الى البيت في حال سأل عنها والدها.

لم تستطع الفتاة ايجاد باتيس بسرعة ولما فعلت امضى العجوز نصف ساعة للوصول الى المحطة. وعندما وصلت اخيراً الى البيت كانت منهوكة القوى بشكل وجدت معه صعوبة بحمل حقيبتها الصغيرة، ودفع الباب.

في الداخل ظلمة وبرد في الرواق كالعادة، ونور ودفء في غرفة الجلوس المليئة بالنوافذ العريضة سامحة لخيوط شمس الربيع بالتسلل الى الداخل فتضفي بهجة وضياء على جو الدار.

من الواضح ان لا احد في المنزل ينتظرها. دخلت الى المطبخ لتجد رسالة صغيرة على الطاولة تقول: الحساء حاضر في الوعاء. لا بد ان الرسالة موجهة اليها من السيدة ويتاكر.

صعدت لورا الى غرفتها وبدلت ملابسها، فارتدت تنورة قديمة وقميصاً صوفياً. ثم عادت الى الطابق الأرضي.

بلغت الساعة الواحدة ظهراً بدون ان يظهر احد وخاصة انه وقت الغذاء. لا بد ان والدها وجدها ذهبا في رحلة لها علاقة بالطب ونسيا امر مجيئها، لكن المحير ان جويس عالمة بقدومها، فأين هي؟ فتشت في غرفة الجلوس عن رسالة موضحة فلم تعثر على شيء. اخيراً جلست الى المائدة في المطبخ تتناول حساءها وهي تفكر في كيفية قضاء بعد الظهر وحيدة. ولكنها اخطأت اذ ما كادت تنهي الغذاء حتى سمعت صرير الباب وصوت جويس يلعلع عالياً. كما سمعت صوت والدها وضحكته. بعد لحظات فتح باب المطبخ وولجته جويس يرافقها رالف فان ميروم.

لم تنهض لورا من كرسيها لهول المفاجأة، فجويس لم تذكر شيئاً عن حضور الطبيب الشاب، فلما رأته انعقد لسانها من الدهشة ولم تعثر على الكلمات المناسبة. اما جويس فضربت كفاً بكف قائلة:

- عزيزتي لورا! غاب عن بالي تماماً انك آتية اليوم! اراد والدي وجدي الذهاب الى احدى المكتبات العتيقة حين وصل رالف فجأة فتبرع بأخذهما. ثم اصطحبني من هناك لتناول الغداء في. . .
توقفت جويس فجأة عن الكلام حين رأت طبق شقيقتها الفارغ وتابعت ضاحكة، يا لك من مسكينة نسيت انك آتية فقلت للسيدة ويتاكر الا تتعب نفسها بتحضير الغداء.

رأت لورا الطبيب يقطب حاجبيه متعجباً كيف تنسى اخت امر مجيء اختها وتترك البيت بدون تحضير الغداء؟ فاستدركت قائلة:

- انها غلطتي فانا لم اتصل كالعادة اذ قررت الحضور في اللحظة الأخيرة. لا بأس فقد اوصلني باتيس من المحطة واكتفيت بالحساء لعدم شعوري بالجوع، استدارت لورا صوب الطبيب وسألت، كيف الحال يا رالف؟ ماذا عن الكلب الصغير؟

اجابها:

- يتماثل الى الشفاء بسرعة. تركته في البيت في هولندا حيث ترعاه مدبرة المنزل التي تعلقت به كثيراً وتعتني به احسن عناية، توقف قليلاً قبل ان يضيف، لو علمت انك آتية لاصطحبتك معي.

يا لقدرته على اظهار اللياقة والتهذيب! في الوقت الذي يبدو فيه مشدوداً بكليته الى جويس، يكاد لا يستطيع رفع نظره عنها. وهذا ليس بالأمر العجيب، فجويس تبدو غاية في الجمال بفستانها وحذائها اللماع الغالي الذي استطاعت بدهائها اقناع والدها بدفع ثمنه، وان على مضض. . . ادركت لورا عندها ان الثياب التي ترتديها لا تضيف ذرة جمال الى مظهرها بالمقارنة مع ما ترتديه شقيقتها. انه اهمال من قبلها يزيد من عدم التفات الجنس الآخر ناحيتها. . . ام ان عدم الالتفات هو سبب الأهمال؟ والمهم في الأمر ان النتيجة في الافتراضين واحدة. . .

نهضت لورا اخيراً عن الطاولة قائلة:

- سأذهب الآن لالقي التحية على والدي وجدي. على فكرة، اين

السيدة ويتاكر؟

اجابت جويس ببراءة الاطفال:

- منحتها بقية النهار عطلة لأنني ظننتك غير آتية كما سبق وقلت. مرة اخرى آسف لغباوتي. صمت لسان لورا وفكرها يقول ان جويس على حق تماماً في ما قالته عن الغباوة، لكن التقيد بقواعد الاخوة ووجود غريب بينهما منعاها من التصريح بالحقيقة.

تابعت جويس:

- والدي وجدي مدعوان الى العشاء عند الدكتور وول فهو وحيد الليلة كون زوجته ستغيب لتشارك في اجتماع يتعلق بنشاطاتها الاجتماعية، لذا اتفقت ورالف على الذهاب الليلة الى المطعم الرائع في محلة غريت والتام.

تولى رالف متابعة كلام جويس.

- وسنسر كثيراً اذا قبلت مرافقتنا.

رالف رجل لطيف حقاً. قد يكون لديه الكثير من النواقص لكن الافتقار الى اللطف ليس واحداً منها حتماً. اسرعت لورا الى رفض الدعوة مظهرة اسفاً شديداً لعدم قدرتها على الذهاب:

- اشكرك على الدعوة الكريمة وآسف لعدم تمكني من تلبيتها. الحقيقة ان العمل في المستشفى ارهقني وامامي اشياء كثيرة اقوم بها في الغد، لذلك قررت تمضية الأمسية في البيت للراحة ولالتقاط انفاسي.

اظهرت جويس تعاطفاً مزعوماً مع اختها اذ قالت:

- مسكينة لورا، ولكن ما دامت هذه مشيئتك. . .

كادت لورا تصرح بحقيقة مشيئتها فأحجمت لما رأت عيني الطبيب الهولندي الداكنتين تنظران اليها بفضول. ابتسمت وقالت بحماس:

- اؤكد لكما انه لا اجمل من المكوث في المنزل وتمضية سهرة هادئة يستجمع فيها المرء افكاره ويراجع حساباته.

على هذا خرجت لورا من المطبخ حتى تتحاشى المزيد من هذا الحديث المحرج.

شدد الوالد على لورا كي ترافقه الى منزل الدكتور وول، لكنها لم ترض. فلو فعلت لازعجت الرجال الثلاثة وارغمتهم على التحول عن احاديثهم الطبية لتسليتها. وهكذا كررت رغبتها بالبقاء في البيت قبل ان يخرج والدها وجدها اولاً، وبعدهما جويس ورالف.

جويس بدت في ابهى حلة ورالف غمره فرح كأنه فاز بجائزة اليانصيب الكبرى لتوه.

اقفلت لورا الباب خلفهما ودخلت الى المطبخ لتحضر عشاء خفيفاً مكوناً من سلطة خضار وبيض مقلي بدموعها اكثر من الزيت. هدأت لورا قليلاً بعد العشاء وجلست ليس لها سوى السكوت التام ينادم وحدتها.

ولتمضي الوقت غسلت شعرها الطويل وتركته حراً ينسدل حتى اسفل ظهرها. بعد ذلك اعدت بعض القهوة، فشربتها ببطء وتسلت ببعض السندويشات الخفيفة فيما غرقت بقراءة الجريدة المحلية.

كان الكهل والعجوز اول العائدين وبدا ان العشاء لم يعجبهما، اذ هجما بنهم على قهوة لورا وسندويشاتها. وبعد حوالى الساعة عاد الثنائي الشاب، جويس جميلة كما لم تكن من قبل، ورالف مستسلم لهذا الجمال وان يكن يبذل مجهوداً كبيراً لئلا يبدو كذلك. والواقع ان معظم جهده ضاع سدى لان بعض المشاعر لا يمكن ان تخفى على احد.

احضرت لورا مزيداً من القهوة فتولى رالف بلطفه المعهود حمل الطبق متمنياً ان تكون امضت امسية حلوة، وسائلاً اياها ما اذا كانت حرة لتنضم في الغد الى مشاريعه وجويس.

قرأت لورا توسلاً في عيني جويس حتى يأتي الجواب بالنفي وهكذا كان، فاختلقت عذراً وقالت انها مضطرة للقيام بزيارة لبعض

الاصدقاء بعد الظهر. اظهر الطبيب اسفاً صادقاً ولم يحاول تكرار الدعوة لانه قلبياً يفضل الاختلاء بجويس على كون شقيقتها معهما حتى يطيب له جو الغرام.

بعد قليل ذهب كل الى غرفته ولم تفاجأ لورا لما دخلت عليها جويس باسمة:

ـ شكراً للسماء لانك نظرت الي قبل الاجابة. تصوري لو انك قبلت دعوته! هو بالطبع لا يرغب بذهابك معنا يا لورا ولكنه طلب منك ذلك لباقة فقط. سنمضي نهارنا في كمبريدج حيث امضى رالف سنوات الدراسة الجامعية. جلست جويس على طرف السرير وهتفت والفرحة تغمرها:

ـ اليس ما يحصل رائعاً يا لورا؟ حدسي ينبئني بانه سيطلب يدي في وقت قريب.

اكملت لورا جدل شعرها امام المرآة متظاهرة بعدم الاكتراث كثيراً باقوال شقيقتها، والحقيقة ان قلبها كاد يتوقف لما سمعت هذه الكلمات التي طالما خشيت سماعها يوماً. وها هي الآن تنزل عليها نزول الصاعقة وتهدم ما بقي لها من آمال. حبذا لو يكون حدس جويس خاطئاً مع ان معظم الدلائل تشير الى صدقه.

انهت جدل شعرها بيدين مرتجفتين وسألت بحذر:

ـ كيف تعرفين انه ينوي الزواج؟

ضحكت جويس واجابت بفظاظة:

ـ لا تكوني سخيفة، انا واثقة من قولي.

تمكنت لورا من الابتسام سائلة:

ـ وماذا سيكون جوابك لو سأل؟

ـ اكون بلهاء لو رفضت الزواج من رالف! انه رجل جذاب ومغرم بي حتى اذنيه، كما انه واسع الثراء على ما يبدو خاصة انه يرتدي افخر الملابس ويقود افخم سيارة... اتريدينني ان ارفض بتوافر كل هذه المغريات؟

رمت لورا نظرة خاطفة نحو المرآة، فرأت ان ملامح وجهها ما زالت هادئة لا تفضح ثورة داخلها وغضبها الجامح ويأسها الذي لا بد وسيلة للخروج من حلقته المفرغة.

ـ اتحبينه يا جويس؟

نهضت شقيقة الصغرى وخطت نحو الباب:

ـ يا عزيزتي لورا. انا مستعدة لان احب اياً كان بشرط ان يؤمن لي الحصول على كل ما اريد، اضافت جويس قبل ان تقفل الباب وراءها، لنقل انه يعجبني.

نهضت لورا باكراً بعد ان امضت ليلة قلقة لم يغمض فيها جفناها الا لماماً، وهاجس الخروج من البيت قبل استيقاظ احد زادها سهاداً. ارتدت بنطلوناً وقميصاً رقيقاً ونزلت الدرج عارية القدمين حتى لا توقظ احداً. شربت بسرعة فنجاناً من الشاي واكلت قطعة من الخبز كستها بطبقة ناعمة من العسل. ثم ارتدت حذاء مريحاً ووضعت على كتفيها قميصاً صوفياً تحسباً قبل ان تخرج الى شمس ايار/ مايو الدافئة.

كان الطقس رائعاً والطبيعة الخضراء تغرق فرحة بنور الشمس. توجهت لورا الى القرية ومنها توغلت في زقاق ضيق يفضي الى قرية مجاورة. كان هذا الزقاق مكان لورا المفضل للسير كونه محاطاً بأشجار تعشش فيها العصافير الغريدة الصادحة بسمفونية عذبة من الالحان. وهل احلى من شقائق النعمان والياسمين كرفيق للصباح؟ وهل ابدع من الخزامى والبنفسج رفيق درب صباحية؟ لوحة رائعة تسحر الالباب وتطوي الهموم حاملة الناظر اليها في عالم آخر ملؤه الروعة والجمال، ومبرزة مهارة الخالق مانح الانسان نعمة الطبيعة.

تغلغلت لورا في المسلك المتعرج كالثعبان حتى شارفت على الوصول الى قرية [illegible] مختصرة

اصوات جرس ساعة القرية تترامى اليها من بعيد ولاحت لها الأكواخ القائمة على طرف القرية.

اول من شاهدها كان راعي القرية مدير المدرسة الخيرية، فحياها بحرارة مستغرباً.

ـ لورا! اي ريح طيبة حملتك الينا؟

ـ خسارة كبيرة ان يهدر المرء صباحاً بهذا الجمال في السرير، وانا احب النهوض باكراً والسير بين احضان الطبيعة.

ـ الطبيعة ملاذ هادىء مليء بالامان لمن يريد الاختلاء بنفسه، لاحظ الرجل الكهل شحوب القلق والتعاسة في عينيها، فتابع، تعالي لتناول الفطور معاً، وزوجتي مارتا ستسر كثيراً بوجود ضيف في منزلنا المضجر بعد ذهاب غي لتحصيل دروسه في كمبريدج.

سارا معاً في شوارع القرية حتى بلغا الطرف الآخر منها حيث منزل السيد لامب المبني من حجر ابيض. بناء رائع وواسع صمم اصلاً لسلف السيد لامب الذي كانت له عائلة من زوجة وستة اولاد. اما الآن فلا حاجة لكل الغرف بوجود السيد لامب وزوجته مارتا وابنها. الوحيد غي الذي سيغيب في كمبريدج حتى ينهي تخصصه في الهندسة.

دخل الكهل ولورا المطبخ ووجدا مارتا تقلي البيض فوق طبقة من لحم العجل الشهي. جلس الثلاثة يتمتعون بوجبة لذيذة فيها كل طيبة القرية ونقاوتها، واستطابت لورا الحليب الطازج والخضار النضرة المقطوفة من حديقة المنزل.

بعد ذلك انسحب السيد لامب على دراجته الهوائية ليقوم ببعض الزيارات وليقف على حاجات ابناء رعيته، تاركاً لورا تساعد زوجته في غسل الصحون وتقشير البطاطا تحضيراً للغذاء.

احاديثهما لا ينضب. وافتهما لورا بعد قليل بالقهوة فشكراها بسرور وتابعا المناقشة.

صعدت لورا الى غرفتها وبدلت ملابسها بعد ان حررت شعرها المعقود، ثم نزلت الى المطبخ لتكمل ما بدأته.

لم تعرف لورا عن شقيقتها والحبيب شيئاً الا على مائدة الغداء عندما اخبرها والدها انهما غادرا منذ الصباح ولن يعودا قبل الخامسة. ولكنه لا يعرف وجهة الرحلة.

هز الرجل رأسه وقال:

- من الظاهر انها على ابواب علاقة جدية مع ان جويس تصغره بكثير. لكنني لن اعارض اذا كانت ابنتي تريد هذا الرجل وهو من جهته مأخوذ بها على ما يبدو. نظر الوالد الى لورا وسأل الم تلاحظي انه واقع في غرامها؟

قالت لورا نعم بصوت جليدي وذكرت والدها بأنها عائدة الى لندن بقطار الساعة الثالثة. وعلى الفور عرض الرجل اصطحابها الى المحطة مضيفاً:

- بذلك نقوم بنزهة انا وجدك ونروح عن نفسينا قليلاً. لكنه ما لبث ان تذكر امراً مقلقاً فاستفهم، ولكن من سيحضر لنا شاي الساعة الخامسة ومن بعده العشاء يا عزيزتي؟

- الشاي جاهز في المطبخ وما عليك الا تسخينه قليلاً. كما حضرت عشاء بارداً موضوعاً في طبق على الثلاجة، وسأحضر لكما شيئاً اضافياً بعد قليل.

بعد ان اطمأنت الى انتظام امور المنزل حزمت لورا حقيبتها واخذت تبحث عن والدها حتى لا ينسى انه سيوصلها الى المحطة في شلمزفورد.

جلست في مقعد السيارة الخلفي لأن جدها لا يطيق الجلوس في الخلف حيث لا يستطيع الرؤية جيداً. ولورا فرحة ضمناً بذلك لأن جلوسه قرب والدها يلهيه عن طرح الاسئلة عليها. هل انت سعيدة

بعملك في المستشفى؟ ماذا تخططين للمستقبل؟ اتحبين احداً؟ ما رأيك برالف فان ميروم؟

والسؤال الاخير هو الأكثر احراجاً بالطبع وتخلصت لورا منه بقولها انها لا تحكم على شخص لا تعرفه تمام المعرفة.

لكن الذكاء لا ينقص جدها الذي علق على ردها:

- لا ضرورة لان نعرف الشخص جيداً حتى نستلطفه. فالمحبة ليست بحاجة لحسابات ومنطق، اما ان تنبع فوراً من القلب او لا.

- لا بأس به يا جدي، غيرت لورا وجهة الحديث بعد الرد المقتضب، هل ستكون هنا عندما اعود يا جدي، فأنا لا اعلم تماماً متى سأحضر؟

- سأبقى عندكم. رالف يروح ويجيء كثيراً وامر عودتي الى هولندا مؤمن ما دام الرجل يهوى الرحلات السندبادية.

- هذا يتيح لي رؤيتك قريباً باذن الله.

نظرت لورا الى ساعتها لما وصلت بهم السيارة الى المحطة، فأسرعت لان القطار يمر بعد خمس دقائق. قبّلت والدها وجدها وحملت حقيبتها متجهة الى شباك التذاكر.

خلال الرحلة لم يغب رالف عن بالها ولم تكتم شعوراً بالحسد تجاه جويس التي تحظى دائماً بمبتغاها دون جهد يذكر. وادركت انها ستلقى عما قريب خبراً ينبئها بزواجها. خبر كالقدر لن تستطيع دفعه عن حياتها.

نظرت من النافذة الى لندن المكتظة بالابنية الرمادية الحزينة متمنية لو ان بساطاً سحرياً يحملها بعيداً، الى حيث لا تسمع شيئاً عن رالف فان ميروم. ولكن، أليس في زواجه من شقيقتها انتهاء لمعاناتها؟ أليس اخر الدواء الكي؟ لماذا تعذب نفسها ما دامت لن تحصل على الرجل؟ فليتزوج من جويس لتبدأ بنسيان الحب الذي ربطها به وتبدأ بتقبل فكرة وجوده كصهر... فكرة

مخيفة.

٣- الداء.. والدواء

انضمت لورا الى مجموعة من زميلاتها الممرضات في غرفة آن ماثيوز في المستشفى تحتسي فنجاناً من الشاي، وتشترك بالاحاديث الدائرة ما استطاعت.

آن، التي تتولى ادارة قسم الجراحة النسائية، ناوبت يومي السبت والاحد اضافة الى الكثيرات من الممرضات. وهي لا تقل انهماكاً وانشغالاً عن لورا. فقد وقع حادث قطار كبير وتدفق الجرحى المصابون اصابات مختلفة تراوحت بين الرضوض البسيطة والحالات الخطرة التي استوجبت وضع البعض في غرف العناية الفائقة.

وبدا التعب أكثر ما بدا على وجه أودري كراو المسؤولة عن قسم الطوارىء، والمعروفة بخبرتها الطويلة في هذا المضمار والتي تجعلها

المثال الاعلى لأي ممرضة تتدرج على يديها.

قالت أودري والارهاق يتضح من صوتها:

- أمن العدل ان تأتينا كل هذه المصائب صباح الأحد؟ اليوم الوحيد الذي أستطيع فيه أخذ قسط من الراحة لاتناول فنجاناً من القهوة بدون ازعاج. وها قد انهال علينا سيل الجرحى من حادث القطار يعلوهم غبار الطريق كالعائدين من الجبهة. لكن معظمهم كان لحسن الحظ مصاباً بجروح سطحية وكدمات بسيطة، ولم نضطر الى ارسال اكثر من أربعة اليك يا لورا وخمسة الى آن. كما ان هناك رجلين وامرأة يحتاجون الى جراحات خطرة.

نظرت احدى الموجودات الى لورا سائلة:

- ما أتى بك باكراً اليوم يا لورا فنحن لم نكن نتوقع حضورك قبل الليل؟ انت تتواجدين دائماً فور حصول طارىء كأبطال القصص الخيالية.

ترددت لورا قبل الاجابة:

- لم يكن لديّ شيء افعله في البيت ووالدي لم يكن يستطيع ايصالي الى المحطة الا في موعد القطار المبكر. يبدو ان مجيئي كان مفيداً في كل الهرج والمرج الذي حصل.

دخلت ممرضة اخرى الغرفة وقالت للورا:

- مكالمة هاتفية لك يا لورا. صديقك يحاول ازالة كل اسباب الخلاف الاخيرة، اليس كذلك؟

شاركت لورا قهقهات الجميع وهي تتوجه للاجابة على المكالمة، في حين ان الخوف الابيض تسلل الى اعماقها... لا بد ان جويس تريد اخبارها بأن رالف فان ميروم عرض عليها الزواج. وبالفعل لم تكد ترفع السماعة حتى سمعت صوت شقيقتها يزف اليها الخبر السعيد. لم تفاجأ لورا انما عجزت عن التعليق وكأن دماغها تعطل عن العمل. ازاء ذلك صرخت جويس في أذنها:

- لورا؟ أما زلت معي؟ لماذا لا تقولين شيئاً؟

أعادها ذلك الى الواقع فأجابت بصوت شبه هادىء:

- انه نبأ سعيد يا عزيزتي، وأتمنى لكما كل خير وهناء. أيعلم والدي بالأمر؟

- نعم، وجدّي كذلك. ولكنك تعلمين كيف يحاول الكبار تغليف الأمور بطابع واقعي مشكك.

- لا أهمية لذلك ما دمتما متوافقين ومصممين على خوض غمار الحياة معاً.

- أقمنا احتفالاً صغيراً بالمناسبة... آه انه امر رائع يا لورا. رالف بجانبي ويودّ التحدث اليك.

تنفست لورا عميقاً طالبة من السماء مساعدتها على تجاوز امتحان التكلم اليه، مع العلم ان المحادثة الهاتفية أرحم من مقابلته وجهاً لوجه. ومن الآن حتى يحين موعد هذه المقابلة الحتمية مع الصهر العتيد تكون الجروح بردت، وبدأت بالاندمال. وعلى الرغم من ذلك وجدت لورا صعوبة بالغة في فك عقدة لسانها عندما سمعت صوته يهمس في اذنها:

- لورا؟

- اهلاً.

- ألن تهنئيني؟

- وكيف لا؟ أتمنى لك السعادة من كل قلبي.

- أنا مسرور لسماع هذه الكلمات اللطيفة من ستصبح صهرها. خسارة انك غير موجودة معنا للاحتفال ولكنك ستدبرين الامر لتكوني معنا في الاسبوع المقبل.

اختارت لورا العبارات بدقة قبل التفوه بأي كلمة حتى لا تبدو كثيرة الحماس او فاترة الهمة، فقالت بواقعية:

- سأبذل جهدي للحضور. أعتذر لأنني اضطررت الى ترككما باكراً اليوم لكني ملتزمة بوعد...

- صحيح.

قال رالف ذلك كأنه يريد وضع حد لهذه المكالمة التي تهدر وقته سدى، وقت يستطيع تمضيته مع حبيبته جويس. وترسّخ ذلك عندما ابعد السماعة عن شفتيه قائلا:

ـ حسناً، انا قادم. ثم عاد الى مخاطبة لورا، هناك من ينتظرني يا لورا، الى لقاء قريب باذن الله.

اقفلت الخط وتوجهت مباشرة الى غرفتها دون المرور بمكتب آن، مع علمها ان احدى زميلاتها ستأتي للبحث عنها عاجلاً أم آجلاً. في الغرفة، امضت دقائق طويلة تحت الماء تبرد ثورتها وتغرق حزنها. ولما طرقت احداهن الباب تسأل عنها، أجابت ان المخابرة استغرقت وقتاً طويلاً فلم تعد اليهن في غرفة آن. سألت الواقفة في الخارج:

ـ اهناك ما يقلق؟

اجابت لورا بنبرة ارادتها فرحة:

ـ لا! فاعلان خطوبة جويس امر رائع. سأخبركن بالتفاصيل لاحقاً.

في الصباح التالي اطلعت لورا الجميع على الخبر السعيد باقتضاب تام فيما هنّ يتناولن طعام الفطور في قاعة الطعام الكبيرة. وسمعت الضجة والهمهمات التي تلت اكتشاف احدى الممرضات الشابات ان الخطيب ما هو الاّ الطبيب الهولندي الوسيم الذي يأتي للقاء الدكتور بيرنيت.

انهت لورا طعامها بسرعة وخرجت من القاعة على تمنيات زميلاتها بان تكون العقبى لها قريباً.

شغلت الممرضة المتفانية طوال النهار بأربعة مرضى يحتاجون جميعهم الى عمليات خطيرة. وما أدرى الناس بالجهد الكبير الذي تبذله الممرضة لتحضير المريض جسدياً ونفسياً لادخاله الى غرفة العمليات. وبعد ذلك يبدأ التحضير لاستقباله من جديد وتأمين برنامج المراقبة الذي يسبق مجيء الطبيب مجري العملية للفحص واعلان النتائج. أضف الى ذلك هجوم زوجات المرضى الآتيات من

منازلهن، المسلوخات عن اولادهن، ينتظرن رحمة الرب فيها رأس العائلة مستسلم لمبضع الطبيب يقصّ ما يمكن ان يكون خلاص العائلة أو شقاءها.

وهذه المرة كان عليها مواجهة اسوأ ما في الامر، فقد توفي احد المرضى فور خروجه من غرفة العمليات متأثراً بهبوط مفاجىء في ضغط الدم لم يستطع الاطباء المهرة تداركه. واضطرت لورا الى البقاء مع الارملة المفجوعة حتى جاء بعض الاقارب واصطحبوها الى البيت.

بعد هذا النهار الطويل المرهق صعدت الى ملاذها الوحيد... غرفتها. وبالكاد استطاعت اخذ حمام سريع وارتشاف بعض الشاي الذي احضرته آن، حتى غطّت في نوم عميق.

مرّت بقية الاسبوع بسلام اذ تحسنت حالة المرضى الثلاثة الآخرين بشكل مشجع، كما ذهب الشبان، الذين خضعوا لعمليات نزع الزائدة الدودية، الى بيوتهم بعد ان قدموا الى لورا باقة كبيرة من الورد. والمفاجىء ان السيد بلايك الدائم التذمر عاد يوماً الى المستشفى ليقدم للورا شكره وامتنانه على العناية التي خصّته بها. لم تصدّق لورا عينيها عندما رأته ووقفت تحدق فيه لا تدري ما تقول معجبة بالمجهود الذي بذله ليرغم نفسه على القيام بهذه الزيارة. بعد ذلك اصطحبته الى قاعة المرضى ليلقي التحية على اثنين من زملائه السابقين.

تلقت لورا مكالمة من جويس في وسط الاسبوع تبلغها فيها ان رالف آت ليمضي السبت والاحد عندهم. وافهمتها بما لا يقبل الجدل ان وجودها سيفسد الجو عليها وعلى رالف ويعيقها في مشاريعهما، اذ سيضطر الخطيب تهذيباً الى دعوتها للخروج معهما. ولورا لا تريد بالطبع افساد سعادة اختها، فقررت التخلي عن يومي العطلة والبقاء في المستشفى، لهذا اتصلت بشقيقتها في اواخر الاسبوع واختلقت عذراً لتبرر عدم ذهابها الى البيت... وجويس لم

تكن تنتظر أحسن من ذلك.

ـ ما سبب عدم مجيئك؟

ـ طلبت مني احدى الممرضات العاملات في قسم المعالجة الفيزيائية الحلول مكانها لأنها ذاهبة لحضور حفلة زفاف صديقة لها.

ـ قد يكون غيابك يا لورا أفضل لنا، فأنا لا أرى رالف كثيراً كما تعلمين وأودّ ان يكون متفرغاً لي عندما يأتي. وعلى فكرة، هو آت في الاسبوع المقبل أيضاً، وانت ستكونين مرتبطة بدوام العمل على ما اعتقد.

ولارضاء جويس جاء كلام لورا موافقاً:

ـ تماماً، فأنا لن احضر الأ بعد اسبوعين كوني بحاجة لجلب بعض الملابس الصيفية من خزانتي. قررت لورا بذل ما في وسعها من الآن وصاعداً حتى ترتب عطلها بشكل لا يتعارض مع لقاءات رالف وجويس، وتمنّت لو انهما يتزوجان بسرعة ويستقران في هولندا ليعود باستطاعتها الذهاب الى بيتها بحرّية. فاذا ظل هاجس وجود رالف في منزلها يلاحقها، لن تتمكّن من التوجّه الى هناك ومواجهته لئلا تنهار معترفة بحبها ومفسدة سعادة شقيقتها الصغرى.

تنهّدت وأعادت تركيزها على الملفات والاوراق المتجمعة على طاولتها، والتي تشكل ملاذها الوحيد للفرار من التفكير برالف.

لمّا حلّ يوم السبت بدأت لورا تفكر بوسيلة لتمضية الوقت، فالبقاء في لندن الكئيبة ليس وارداً. ولم تجد بعد غربلة الاحتمالات المتوافرة افضل من الذهاب لمشاهدة معرض للصور الفوتوغرافية، ثم الى السوق للتبضّع. وفي المساء دعاها جورج وابت الى مشاهدة فيلم سينمائي اكتشفت انه مملّ اكثر من جورج نفسه. فقد كان فيلماً يعالج موضوعاً نفسياً عميقاً بسوداوية مرعبة، وزادها ارهاقاً للاعصاب اصرار جورج على التعليق الحماسي على كل مشهد وعناد في تحليل كل لقطة. وبعد ان جاء الفرج وانتهى الفيلم اصطحبها جورج الى عشاء عادي جداً توجّه بمحاضرة مطّاطة عن آخر اكتشاف

في مجال المضادات الحيوية... ولكن يمكن القول ان الشاب انتشلها من وحدتها المطبقة على الأقل. ولا ريب ان جورج سيكون زوجاً مثالياً لمن تحظى به، لكنه يخلو من روح المرح ونعمة المبادرة، فمجالسته روتين مملّ ورتابة قاتلة. ولربما كان رالف فان ميروم يخلو أيضاً من روح المرح، فلورا لم تتعرّف اليه كفاية حتى تحكم عليه. وان يكن من الاكيد ان جورج ما كان توقّف في وسط الطريق ليلتقط كلباً جريحاً ويغامر بادخاله الى مستشفى محترم كمستشفى المحبة ليعتني به. فجلّ ما كان فعله جورج هو أخذ الكلب الى طبيب بيطري ونفض يديه من القضية.

انسابت أيام الاسبوع بتؤدة كبيرة وعندما قررت لورا اخيراً الاتصال بالمنزل أجابها جدّها. وبعد تبادل كلمات التحية أبلغها العجوز انه باقٍ اسبوعاً او اكثر وانه يرجو رؤيتها قريباً لكثرة اشتياقه.

طمأنته لورا الى حضورها دون ان تفصح له أن الزيارة ستقتصر على بضع ساعات من يوم الجمعة حتى لا تغامر بلقاء رالف. كما لم تعطه جواباً نهائياً على دعوته اياها لزيارة هولندا عندما تأخذ عطلتها السنوية، وذلك لأن للأمر محاذيره. فرالف يقطن بالقرب من منزل جدها مما يوسع بيكار احتمال لقياه هناك مع عروسه العتيدة جويس... وهذا ما ليس بوسعها تحمّله! ربّما كانت الايام دواء ناجعاً يهدىء من حدّة مشاعرها فتستطيع تلبية الزيارة؟ استقلت لورا القطار باكراً يوم الجمعة بدون الاتصال بالمنزل او بالعجوز باتيس الذي قد يخبر والدها او شقيقتها، الامر الذي يفسد مخططاتها. عندما بلغت شلمزفورد تمكنت من العثور على العجوز الذي اقلها بسيارته بدون ان يسأل عن سبب التغيير في موعد مجيئها كون حديثه انصب على زفاف سيحضره في اليوم التالي.

دخلت لورا حديقة المنزل والرذاذ يتساقط مكللاً بحبيباته هامات الورود ورؤوس الاعشاب. نظرت الفتاة الى ساعتها التي اشارت الى

العاشرة والنصف ما يعني ان لديها الوقت الكافي لتوضيب حقيبتها وانتقاء الملابس التي تريد. في الداخل، اخذت تبحث عن والدها فلم تجد له اثرا، وكذلك لم تكن السيدة وتاكر في المطبخ. صعدت لورا الى الطابق الثاني وسمعت جهاز الراديو في غرفة جويس يبثّ موسيقى ناعمة، فحثت الخطى وفتحت الباب ثم جمدت في مكانها. وقفت جويس في وسط الغرفة وحولها ملابسها مبعثرة على السرير، على الكراسي، وعلى الارض. وقربها الحقيبة الكبيرة، التي اهداها اياها والدها في ذكرى ميلادها الاخيرة، مفتوحة وشبه مليئة بالثياب.

استدارت الشقيقة الصغرى لما سمعت الباب يفتح وفمها فاغر لهول المفاجأة، فقالت بصوت مرتجف:

ـ اليوم الجمعة، وانت لا تأتين عادة قبل السبت...

ـ صحيح ولكن وقتي لم يسمح لي الا بالقدوم اليوم. اين الجميع يا جويس؟

اجابت جويس بنبرة تحد:

ـ اقترحت على العجوزين الذهاب للتنزه في تلك الحدائق الجميلة، فهي تفتح ابوابها في هذه الايام كما تعلمين. اما السيدة وتاكر فذهبت لحضور حفل زواج.

جالت الف فكرة وفكرة في رأس لورا. هل جويس راحلة؟ هل تشاجرت مع رالف؟ هل هي ذاهبة اليه؟

ـ اراحلة انت يا جويس؟

اجابت الفتاة وهي تضع فستاناً في الحقيبة:

ـ نعم انا راحلة، وبما انك تدسين انفك في شؤوني الخاصة هلاّ تفضلت وساعدتني في حزم حقيبتي؟

ازاحت لورا بعض الثياب وجلست على السرير.

ـ ما الامر يا جويس؟ الا ترغبين في عرس قروي؟ لماذا لم تقولي انك تريدين غير ذلك، فالوالد لن يعارض بالرغم من انه يحب اعراس الضيعة. لماذا تذهبين مع رالف للزواج بعيداً عنا؟ لماذا لم

تفصحي عن رغبتك الحقيقية؟

ضحكت جويس عالياً قائلة:

ـ يا لغباوتك يا لورا، انت لم تفهمي شيئاً! لم اقل اني راحلة مع رالف، هو شاب ممتاز ومستعد لتلبية كل طلباتي وتنفيذ كل اوامري، واتصوّر نفسي اعيش معه بحبوحة في منزل فخم، محاطة بالخدم، وباولاد كثيرين... فرالف يحب الاولاد كثيراً. وضعت جويس ثوباً اخيراً واقفلت الحقيبة، ثم اضافت: آنا مسافرة الى اميركا مع شاب التقيته منذ حوالى الاسبوعين. نظرة واحدة مني كانت كافية لايقاعه في شركي. وهو شاب غني جداً ويحب الحياة الصاخبة والمرح. اظنّ ان هذا كاف لتبرير قراري.

اصغت لورا لهذا الكلام المذهل وهي تكاد لا تصدّق ما سمعته اذناها. اهو حلم ام حقيقة؟ ايعقل ان تتخلى جويس عن رالف بهذه البساطة؟ تكلّمت لورا بصوت مرتعد كأنه آت من خلف الواقع وما وراء الحقيقة:

ـ قلت انك تحبين رالف المسكين الذي يظن انك ستصبحين زوجته. وهو آت هذا المساء...

ـ اعتقد انه من حقّي تقرير مصيري واختيار طريقة الحياة المناسبة! ولا شأن لأحد في ذلك وخاصة انت! لا تنسي ان رالف يصبح قريباً في الاربعين، الامر الذي قد يثير مشاكل بيني وبينه. وبدخول لاري حياتي تلاشت المقاييس، فهو فاحش الثراء من جهة وشاب يضج بالحيوية من جهة اخرى. اضافت جويس وهي ترتدي معطفها، تركت رسالة لرالف بامكانك تسليمه اياها وشرح القضية، كما ارجوك ان تخبري والدي.

وبنبرة بركانية مفاجئة قالت لورا:

ـ لن افعل شيئاً!

ـ كما تشائين. دعيهما يكتشفان الحقيقة بنفسيهما.

ـ الا تفكرين بردّ فعل والدك وبشعور رالف عندما تقدمين على

هكذا خطوة؟

اجابت جويس بلا مبالاة:

- والدي يوافق على كل ما افعل وهو بالتالي سيرضى بالواقع عاجلاً ام آجلاً. اما رالف فبوسعه الحصول على فتاة اخرى باشارة من اصبعه، فلماذا القلق بشأنه؟ التقطت جويس حقيبتها وطبعت قبلة على وجنة لورا قائلة، ها قد اتى التاكسي. الن تقولي شيئاً؟

كتمت لورا رغبة بالانفجار باكية وقالت:

- اتمنى لك السعادة بالرغم من البؤس الذي سببته لرالف. حاولي الاتصال بنا بأسرع ما يمكن فأبي لن يطمئن قبل سماع صوتك. ولكن بالنسبة الى رالف...

قاطعتها جويس:

- ماذا عن رالف؟ هو ليس طفلاً ويستطيع الاعتناء بنفسه. الى اللقاء يا لورا.

رحلت جويس تاركة شقيقتها تقف حائرة وسط الغرفة الغارقة في الفوضى. بدأت لورا بترتيب الثياب واضعة كل شيء في مكانه، وعقلها يعمل على هضم الموقف وايجاد المخرج اللائق لاخبار رالف بالامر. وبعد انتهاء عملها جلست على السرير تتابع التفكير.

ما هي الطريقة الفضلى لمفاتحة الرجل بالامر؟ من الاجدى ان تكون موضوعية معه ولا تظهر ذرّة من مشاعرها الدفينة لئلا يحس بأنها تحاول استغلال الوضع. وفجأة تذكرت ان رالف يأتي عادة في المساء مما يتيح لها رؤية والدها واخباره بالحدث، وهو يتولى رالف.

وشرعت لورا تحدث نفسها بصوت عال:

- يستطيع والدي التكفل بالامر واطلاعه على مضمون الرسالة. لا شك ان هذا افضل الحلول وأسهلها. وبعدها سيعود رالف الى بيته.

جويس ادارت ظهرها لاحلام رالف دون ان تكلف نفسها عناء التفاتة اخيرة. ثم اين خاتم الخطوبة الذي اهداها اياه؟ خاتم نفيس

امضت جويس وقتاً طويلاً تصفه لها على الهاتف وتتغنى بذهبه وقطعة الماس الكبيرة التي تكلّل وسطه. والتي جعلت رالف بشرائه يخالف تقليداً عائلياً درج عليه آل فان ميروم منذ زمن بعيد، وهو اكتفاء نسائهم بخاتم من الياقوت مرّ على اصابعهن رمزاً لاستمرار العائلة وتجدّدها.

ومن جديد قالت لورا:

- ارجو ان لا يتأخر ابي في العودة حتى ينقذني من هذه الورطة.

لم تكد تنهي جملتها حتى سمعت صرير الباب فتنفست الصعداء، وتناولت رسالة جويس متوجّهة الى الطابق السفلي. ولمّا وصلت الى آخر السلّم وقفت مصعوقة لأن القادم لم يكن والدها بل رالف بلحمه ودمه.

ابتسم الرجل قائلاً:

- مرحبا يا لورا! لم اتوقع رؤيتك هنا اليوم، وسرعان ما لاحظ الرجل القلق والتوتر على وجه الفتاة فاختفت الابتسامة وسأل عابساً، ما الامر يا لورا؟ هل جويس بخير؟

من الصعب، بل من المضحك المبكي ان لورا تستطيع في المستشفى التعامل مع اصعب الحالات ومواجهة اقسى المصائب، وها هي تقف امام هذا الرجل لا تدري كيف ومن اين تلج الموضوع... تابعت التحديق به لاعنة كل لحظة تمرّ والقدر الذي رماها في مأزق محرج كهذا. لو كان الامر يتعلق بأي رجل آخر لما وجدت كل هذه الصعوبة في النطق، لكن رالف يختلف. فهي تحبّه حباً صامتاً معذباً وتود مساعدته بكل جوارحها دون ان تعلم ما السبيل الى ذلك.

خلع رالف معطفه ورماه على كرسي مسنداً ظهره الى الباب، واضعاً يديه على خصره وقائلاً بهدوء ملفت:

- الن تقولي ما الامر؟

بلعت الفتاة ريقها واجابت بارتباك:

- طلبت مني جويس تسليمك هذه.

رأت لورا القلق في عينيه وهو يقترب منها ليأخذ الرسالة، لكنه ظهر مسيطراً على انفعالاته. واستطاع كذلك ضبط مشاعره عندما فتح المغلّف وقرأ مضمون الرسالة قبل ان يفرغ منها ويعيدها الى المغلّف بكل ترتيب.

استوضح الرجل ببرود:

- اكنت على علم بذلك؟

- لا، فقد وصلت قبل ساعة تقريباً وفوجئت بجويس تحزم حقيبتها على اهبة الرحيل.

- ووالدك؟

- تخلصت جويس منه ومن جدي بأن اقترحت عليهما الذهاب للتنزه في احدى الحدائق العامة... ولا انكر انني تمنيت وصولها قبلك لئلا اجد نفسي حيث انا الآن.

اخفت ابتسامة رالف شيئاً من التهكم ممزوجاً بالمرارة اذ قال:

- مسكينة الشقيقة الكبرى لورا! فهي تنوء تحت عبء زف الخبر العظيم... وهي لم تحسن القيام بالمهمة.

- كنت أنوي مفاتحة والدي بالامر وهو بدوره يخبرك به. فالكلام بين رجل وآخر في مواضيع كهذه يظلّ اسهل...

تحوّلت ابتسامة الرجل فجأة الى ضحكة مجنونة:

- انت على خطأ، فانا افضل حديث المرأة المليء بالحنان والتعاطف.

خافت لورا من الغيظ المختبىء وراء ذاك الوجه الهادىء وتلك القسمات الجدّية. وسألته بتردّد:

- الا تنوي اللحاق بها قبل ان...

تولى رالف اكمال السؤال:

- قبل ان يتزوجا، اليس كذلك؟ يا لك من فتاة غبية يا لورا! اتتصورين انني سأجري وراءها لاعيدها اليّ؟ او لأجرها من شعرها

كما كان يفعل رجال العصر الحجري! ضحك رالف ثم صمت فجأة ناظراً الى البعيد وقال متمتماً، ربما كانت على حق، فانا اكبرها بكثير.

وجفت لورا وقالت بشبه صراخ:

- لا يعقل ان تقول جويس هذا؟ وهو في اي حال غير صحيح، فانت لست عجوزاً وما زلت في الثامنة والثلاثين!

- بالنسبة لك ربما، لكن لا تنسي ان جويس في العشرين.

شحبت لورا لملاحظته الاخيرة وتمكنت من التعليق:

- لا اظن ان السن تلعب دوراً في هذه المسائل.

- ومن أين لك ان تعلمي؟

اصابتها كلماته في صميم كرامتها فكأنه يقصد ان لا خبرة لها في مسائل الحبّ والقلب لأنها لا تعرفها، او لا تستأهلها...

- انها المرة الثانية تكون فيها فظاً بكلامك. ولكن لا بأس فانا افهم وضعك ومدى غضبك. لا بد انك تشعر الآن برغبة في الاطاحة برأس احد ما، وبالطبع لن اسمح بان اكون هذا الأحد.

عادت السخرية الى نبرته اذ قال:

- وهل بوسعك منعي من الاطاحة برأسك؟

- عليك ان تجتاز هذا المخاض العسير يا رالف فالحياة محكومة بالاستمرار. قد يكون قولي تقليدياً، ولكن هناك الكثير من الفتيات الجميلات في هذا العالم...

عندما تكلم رالف كان في صوته حزن عميق أثار في نفس لورا اضطراباً:

- يا فتاتي الطيّبة لا حاجة لأن احظى بفتاة جميلة! اي واحدة بعد جويس تناسبني لأني فقدت كنزاً لا مثيل له، ضحك بخيبة مضيقاً، وبما ان الامر كذلك لربما تزوجت منك.

وبدون ان تدري ما تقول سألته لورا:

- ولم لا تفعل؟

كيف السبيل لاسترجاع هذه الكلمات التي لم تكن لورا لتحلم

بقولها يوماً؟ ولكن السيف سبق العزل، وما قيل قد قيل. رفعت الفتاة عينيها لتلتقي نظراته الداكنة وملامحه الخالية من اي انفعال او دهشة.

- الحق معك يا لورا، لم لا أتزوجك؟ عليّ ان آخذ العبرة مما حصل ولا اقرب من فتاة تصغرني بكثير كجويس حتى لا تنتهي علاقتنا بالطريقة نفسها. اما انت فتناسبينني تماماً من حيث العمر لانك ناهزت الثلاثين ان لم اكن مخطئاً.

لم تفهم لورا سبب قساوته المتعمّدة. لربما اراد ان يروي غليله بطريقة ما ولم يجد امامه سواها ضحية وكبش محرقة. ظلّت الفتاة صامتة في حين اكمل رالف:

- كلانا تخطّى سن الايمان بالحب وحماقات المراهقة، وانا شفيت الآن تماماً من هذا الوهم بعد ان هجرتني جويس. لكن فكرة قضاء بقية حياتي عازباً لم تعد تستهويني بعدما كنت على قاب قوسين او ادنى من دخول القفص الذهبي، اقترب منها واردف بلطافة، الزواج بيننا سيكون زواج صديقين. انا لا اريد حباً وهياماً بل امراة تشاطرني عمري وتنتشلني من وحدتي. امرأة تدير المنزل وتستقبل الضيوف والاصحاب. هذا جلّ ما اطلبه منك. اتقبلين بهذا العرض ام تبقين بانتظار فتى الاحلام الآتي على فرس ليخطفك ويذهب بك الى البعيد؟

- كن على ثقة اني لم اعده بانتظاره ابداً. وما عليك سوى النظر اليّ جيداً لتعلم ذلك. فانا ادقّ ابواب الثلاثين ولم اكن يوماً تلك الفتاة الساحرة التي تجعل من فتى احلامها، لو صادفته، يلتفت اليها لحظة.

اومأ رالف برأسه موافقاً ومضيفاً نقطة جديدة الى هذا الحوار الهاذي اللامألوف الخارج عن قواعد المنطق والعقل.

- افهم من كلامك انك مستعدة للزواج مني؟

- نعم.

مرّر رالف نظراته عليها طولاً وعرضاً سائلاً:

- لا افهم مدى تصميمك.

تمنّت لورا لو تستطيع البوح بالحقيقة وتقول انه فتى الاحلام الذي تحدّث عنه، لكنها اكتفت بالقول:

- لا شك في انك تذكر كلام الدكتور بيرنيت عندما اجتمعنا في مكتبه. والحق يقال ان فكرة تمضية بقية حياتي في المستشفى ترعبني. لقد امضيت عشر سنوات حتى الآن في التمريض، وهي مهنة احبها كثيراً. لكن حياة الممرضة صعبة وقاسية لا تتيح لها القيام بالاشياء التي تحبّها.

- اشياء مثل ماذا؟

علمت لورا ان رالف يحاول ان يعيرها شيئاً من اهتمامه في حين ان فكره منصب على الخبر المفجع الذي زفّته اليه. وبالرغم من ذلك تابعت الكلام لتضفي على الجوّ المشحون اكبر قدر ممكن من الواقعية. وبالفعل نجحت لورا في كبح جماح غضبه ومنعه من الانفجار غيظاً وارتكاب اي عمل احمق. وازاء ذلك قالت في نفسها ان الاطفال محظوظون لأنهم قادرون على التعبير عمّا يجول في خواطرهم بحرّية، بينما هي ورالف يكتفيان بهذه المحادثة السخيفة مصطدمين بحواجز التعامل وسلاسل التقاليد الاجتماعية.

تمتمت لورا:

- احب مثلاً مطالعة كل الكتب التي تعجبني، واضافت لما رأته يبتسم، اهوى الاعتناء بالحديقة والازهار، معاشرة اناس كثيرين ولقاء المجرّبين الذين يزيدونني غنى ومعرفة، لا كالذين القاهم يومياً في المستشفى ويمضون وقتهم بالتحدث عن الامراض والويلات. . .

ظنّت لورا انه لا يصغي اليها ولا يأبه بكلامها، لكنها غيّرت رأيها لما رأت نظراته المهتمة وظنّت لوهلة انه نسي جويس.

- ايكفيك ان نؤمن حياتنا الزوجية هذه الاشياء البسيطة؟ ألن تطالبي بالسفر مثلاً او حضور المسرحيات او الذهاب الى حفلات؟

أتقنعين بحياتي الهادئة؟

- اكنت مستعداً لتغيير اسلوب حياتك من اجل جويس؟

تحجّر وجهه عندما سمع اسمها واجاب:

- بالطبع كنت سأغير وجهة حياتي من اجل من احب. كنت على استعداد لفعل اي شيء يرضيها.

كانت جويس ستحظى بسعادة كبيرة اين منها ربع ما تحلم به لورا التي قالت:

- لن ازعجك ابداً ولن اكون متطلبة، اعترف اني لا أرضي طموحك يا رالف لكن وجودي قربك يظلّ افضل من الوحدة والانعزال، واستدركت اذ رأت التردد في عينيه، لا تخجل من القول انك لم تقصد كلمة واحدة ممّا قلت، فالانسان يتفوّه بأشياء بلهاء عندما يكون غاضباً.

قاطعها الرجل بقسوة:

- عنيت كل كلمة قلتها يا لورا وان كنت اجهل الحافز الذي يدفعني الى الزواج منك، وهذا ما يجب ان يحملك على التفكير ملياً قبل الاقدام على اي خطوة. عليك ان تفهمي انني ابحث فيك عن مضيفة لاصدقائي، مدبرة لمنزلي، ضحية لساعات غضبي... وبالمقابل لن تحظي بالكثير من رجل كسير القلب محطم الآمال، من رجل اعتاد العيش وحيداً وفشل بانارة حياته عندما خذلته حبيبته وأدارت له ظهرها. أحذرك يا لورا من أنك ستعانين الكثير وستكرهينني وتلعنين الساعة التي قبلت فيها بهذا الزواج.

توقف رالف منتظراً منها تعليقاً.

- قد يكون كلامك صحيحاً.

لم يفهم رالف الكثير من قول لورا فتابع:

- لماذا لا تعطين ادارة المستشفى شهر انذار بترك العمل، فهذا يتيح لك التفكير ملياً بقرارك.

شعرت لورا ان الوقت حان لوضع حدّ لهذا الحوار المجنون

فقالت:

- حسناً. ما رأيك بفنجان من الشاي فأنت لا بدّ متعب بعد رحلة طويلة؟

قهقه رالف عالياً وأجاب:

- لا لستُ تعب، ولكنني ارحب بالشاي فهو الدواء الشافي لكل داء.

٤ - عناق وحيرة

عادت لورا الى المستشفى ليل السبت متأخرة ولم تجد أياً من صديقاتها ، فالجميع أوى إلى فراشه في مثل هذه الساعة . اما هي فلم تنوِ أبداً النوم وجلست على كرسيها الهزّاز تراقب الظلام من نافذة غرفتها . الظلام ولا شيء غيره يرى من خلال النافذة ، والمنظر في النهار ليس اجمل بكثير ، اذ لا تشكل مداخن البيوت العتيقة والسقوف شبه المتداعية تلك اللوحة الرائعة . ولورا ، في أي حال ، لا تنظر الى شيء معين بل هي غارقة في التفكير بالأحداث التي تلاحقت عليها في اليومين الاخيرين . لقد بقيت في البيت يوماً اضافياً بعد رحيل جويس حتى تشارك في تحمّل المشكلة ولا تتهم بالجبن والتهرب من المسؤولية . في الليلة ذاتها حضرت العشاء

للرجال الثلاثة ، وبقي جدّها معها في المطبخ في حين جلس والدها ورالف في المكتبة يتحادثان . ولم يكفّ العجوز عن التحدث اليها بشتى المواضيع الآ الموضوع الذي يشغل عقلها ، لذا كانت هي البادئة في السؤال :

- ما رأيك يا جدي ؟ الا تعتقد أن جويس حطّمت قلب رالف ؟

استوى العجوز في كرسيه العتيق وهو يربت على ظهر الهر سوكي الرابض على ركبتيه وقال :

- لا غرابة في أن يكون الرجل محطم القلب لكن الغمامة ستنقشع قريباً عندما تتفتح بصيرته .

عقبت لورا على ذلك وهي تحرك الحساء :

- أتعني بالغمامة ان رالف لا يحب جويس حباً حقيقياً ؟
- لنقل أنه كان وما يزال يعتقد أنه يحبها ، وأي رجل آخر يقع في الفخ نفسه نظراً لفتنة جويس وسحرها . لكن الحياة الزوجية لا تبقى على فتنة الزوجة وسحر جمالها لأن العقل ما يلبث أن يسود الساحة ويطرد الأوهام والعواطف الجياشة .
- ومتى يعود رالف الى رشده برأيك ؟
- لم السؤال يا عزيزتي ما دام الجواب بحوزتك ؟
- ماذا تعني ؟
- ألم تلاحظي الفارق بين حبّك لرالف وتعلق جويس به ؟ وجدت شقيقتك فيه رجلاً وسيماً ثرياً ، ناضجاً ، يستطيع تلبية كل رغباتها . وهي بالرغم من كل هذه المغريات لم تكن واثقة من صدق مشاعرها نحوه .
- حبي لرالف ! ماذا تقول يا جدي ؟
- لا تقلقي يا فتاتي ، فلا أحد غير جدّك يجيد قراءة الأفكار وفضح أسرار القلوب .
- كيف عرفت أنني احبه ؟
- أنسيت أننا كنا دائماً صديقين حميمين ، وأنا أعرفك يا لورا أكثر

مما تعرفين نفسك . وبناء عليه يغدو سؤالك في غير محله بعض الشيء .

أنهت الفتاة تقطيع الخبز ونظرت الى جدها قائلة :

ـ سأبوح لك بشيء مجنون . . . رالف قد طلب الزواج مني .

حدث ذلك بعد رحيل جويس مباشرة ، في وقت كان الجرح ساخناً ، فقال لي انه مستعد للزواج من أي فتاة يصادفها . وسألته لم لا أكون هذه الفتاة ؟ وافق وتحدّث قليلاً عن شروطه . فحاولت أن أعيده الى صوابه ، لكنه أصر على موقفه واقترح علي أن أنذر ادارة المستشفى بتركي العمل . . . لقد أفهمني بما لا يقبل الجدل انه لم يعد يؤمن بالحب ويحتاج فقط لامرأة بجانبه تدير المنزل وترعاه .

ـ ارى أن موقفه طبيعي جداً بعد الذي حدث . وأنت ستقبلين عرضه ، أليس كذلك يا لورا ؟

لم يخطىء العجوز الهولندي في تكهنه ، فلورا وافقت ضمنياً فور تلقيها العرض لأنها لا تحلم بفرصة أخرى مماثلة في حياتها . وفي وقت متأخر من الليل نفسه اتصلت جويس هاتفياً ، وكالعادة استطاعت أن تنتزع العفو من والدها ورضاه عن فعلتها . وطمأنته الى انها سعيدة جداً مع لاري ، وانها ستقنعه بالمجيء لزيارة العائلة قبل سفرهما الى أميركا . كما أكدت أن ثراءه اللامحدود سيخوّلها المجيء الى انكلترا ساعة تشاء . ومن الملفت أن جويس لم تشر في حديثها الى رالف ولو بكلمة واحدة . فاضطرت لورا الى جذبه بحيلة الى المطبخ وتأخيره هناك حتى تنتهي المكالمة . والطبيب الهولندي انساق وراء دهائها مختاراً ، وتبرّع بمساعدتها في غسل الصحون حتى لا تخونه أعصابه وينتشل السماعة من يد والد عروسه الضائعة ليسمعها بعضاً مما يجيش في صدره . عندما أنهى رالف تنفيذ عقوبة غسل الصحون قال وهو ينشف يديه وبصوته الهادىء الذي بدأت لورا تكره برودته :

ـ شكراً يا لورا على ازاحتي من الطريق في هذا الوقت الحرج . اتمنى أن تجيدي التصرف في المستقبل كما فعلت اليوم

تساءلت لورا عن سبب وثوقه من أنها ستقبل به زوجاً وكان الأمر صار مفروغاً منه . ولكنها لم تتمكن من تعنيفه فاكتفت بالقول :

ـ أظن أنك كنت ستنسحب تلقائياً دون تدخلي لتخفف عن والدي وطأة التحدث الى جويس بوجودك .

ـ يا لك من فتاة طيبة تحاول اعادة التوازن الى رجل ثائر ! أنا أكره الشفقة يا لورا ، فلا ضرورة للتمثيل لكي تظهري كل هذا التعاطف المسرحي معي !

قالت لورا في نفسها ما كان يجدر قوله عالياً : لقد ركب الغرور هذا رأسه ! لا بأس ، فتصفية الحساب ستؤجل الى ما بعد الزواج .

انتهت السهرة بعد ذلك وأوت لورا الى سريرها وقرار تصفية الحساب متين لا تراجع عنه .

يوم الاثنين توجهت لورا الى مكتب المسؤولة عن الشؤون الادارية للممرضات وقدّمت الانذار بترك العمل . فبدا الذهول على وجه المسؤولة وكأن ما يحصل أمامها حلم مزعج ، ذلك لأن لورا تعتبر من الممرضات الثابتات المستقرات في المستشفى واللواتي يعتمد عليهن في أي خطوة تطويرية تتم فيه .

تمكنت الآنسة مور من تجاوز المفاجأة وسألت بشيء من الخجل :

ـ من هو صاحب الحظ السعيد يا عزيزتي ؟

ـ الدكتور فان ميروم يا آنسة مور .

حارت لورا في تفسير نظرة الآنسة مور ، فهي تراوحت بين الذهول المطبق والتهكم الموجع .

ـ هذا يعني انك ستستقرين في هولندا ، أليس كذلك ؟ اتمنى لك اذن كل السعادة ، واعتبري استقالتك مقبولة من اليوم آنسة ستانديش .

بدت نبرة مور عندما تكلمت غير واثقة من نيل لورا السعادة في زواجها ، وهي لربما كانت على حق . لكن لورا مصممة على إنشاب اظافرها في هذه الفرصة وعصرها عصراً حتى تصل الى مبتغاها . فإن

فشلت الآن لن تنجح ابداً . . . لم يكن من المجدي ابقاء أمر تركها المستشفى والزواج طيّ الكتمان ، لأن الآذان الفضولية ستكتشف الأمر بطريقة أو بأخرى . فقررت لورا اخبار آن قبل أن يسري الخبر سراً سريان النار في الهشيم . وما كادت آن تعلم بالأمر حتى انتشر النبأ في ارجاء المستشفى مفاجئاً كلُّ من سمعه ، كون الجميع يعلم أن رالف كان ينوي الزواج من جويس شقيقة لورا . لكن رصيد الممرضة في وسطها وحبّ الجميع لها جعلا الفضوليين يلجمون ألسنتهم ويحجمون عن طرح الأسئلة اللجوجة المحرجة . وهذا لم يمنع بالطبع توجيه الأسئلة الأخرى البريئة : أين ومتى سيتم الزواج ؟ أين سيكون المقرّ الزوجي ؟ ماذا سترتدي العروس يوم العرس ؟ واضطرت لورا للاجابة على هذه الأسئلة وغيرها لاختراع الأجوبة كونها لا تملك أي فكرة حول الموضوع . لا بل هي لا تعلم ما اذا كان رالف ما يزال مصمماً على الزواج أم أنه غير رأيه . حضر رالف في آخر الاسبوع الى المستشفى ليراها ، لكنه اختار وقتاً غير ملائم للقيام بالزيارة . فلورا كانت مشغولة باقناع أحد المرضى الهائجين بعدم نزع المصل من يده . والرجل قد فعل ذلك ثلاث مرات في أقل من ساعة . وما زاد الطين بلّة وجود لورا وحيدة معه اذ أن كل زميلاتها ذهبن لتناول العشاء ، وهذا ما منعها من ترك المريض الهائج لتتصل بجورج وايت فيأتي ويفعل اللازم ، أي حقنه بالمزيد من المهدئات مع العلم أن المهمة شاقة للغاية .

خرجت لورا لمّا سمعت وقع خطى رجل فقالت دون أن تلتفت :

ـ الحمدلله على مجيئك يا جورج لتساعدني على هذا الرجل .

لاحظت الممرضة أن اليد التي امتدت لم تكن يد جورج نظراً لنوعية القماش الفاخر الذي يغلفها . استدارت لورا نحو رالف وقالت بغباء :

ـ أهذا أنت ؟

ـ البطل يصل دائماً في الوقت المناسب لينقذ حبيبته من براثن

الشر ، (ابتسم الرجل متابعاً) سأمسكه بينما تذهبين لاحضار ما يلزم .

قبل أن تفعل قدّمت لورا شرحاً مقتضباً عن حالة المريض :

ـ انه مصاب بجرح كبير في الرأس مع ارتجاج في الدماغ ، ويحتاج الى من يراقبه طول الوقت . لذلك انا بانتظار فريق الليل لأبقي احداً قربه .

اتجهت لورا بسرعة نحو مكتبها حيث حضّرت حقنة مهدئة وعادت الى سرير المريض . أما رالف فظل ممسكاً بيده بقوة ولم يتركها الاّ عندما بدأ مفعول الحقنة يظهر على عيني الرجل الذي ما لبث أن غطّ في نوم عميق . استوضح الطبيب الهولندي :

ـ اين سائر الممرضات ؟

ـ لا بد أن يعدن من العشاء بين دقيقة وأخرى .

علّق الرجل على ذلك بنعومة ولكن كلامه جعل لورا تحمّر غيظاً :

ـ ليس من الحكمة ارسال جميع الممرضات لتناول العشاء والبقاء وحيدة بوجود حالة كهذه .

ـ لدي ممرضتان حديثتا العهد بالمهنة ، فلم اشأ ارسال واحدة وابقاء الأخرى معي ، حتى لا اضطر الى ترك واحدة بمفردها عندما أذهب لكتابة التقرير اليومي وتذهب الثانية بدورها الى العشاء .

ـ حسناً فعلت يا لورا . ها قد حضرت ممرضتاك فاذهبي لكتابة التقرير . وما رأيك ببقائي هنا لمراقبة المريض الهائج بينما تهتم الفتاتان بالباقين ؟

نظرت اليه لورا متعجبة :

ـ أجاد في ما تقول ؟ شكراً على لطفك فالفتاتان لم تعتادا بعد على هذه الأجواء ووجودك يسهّل مهمتهما . لن أغيب أكثر من عشر دقائق .

وبالفعل عادت لورا في الوقت المحدد وسلّمت الجناح لممرضة نوبة الليل ، تساعدها فتاة وممرض كلّف الجلوس الى جانب المصاب

بارتجاج في الدماغ . وقبل أن تخرج بصحبة رالف وجهت لورا التحيات الى كل مريض بمفرده . وعلى السلم ظلّ الرجل صامتاً الى أن سألها فجأة :

ـ ما رأيك بتناول العشاء ؟

ـ ولم لا ؟ أباقٍ هنا ؟

ـ نعم . سأبقى في لندن لاضطراري الى حضور اجتماع هام يعقد غداً . جئت بالطائرة خصيصاً من اجله .

دققت لورا في وجهه لتجد انفعالاً شارداً أو احساساً هارباً وسألت :

ـ هل من جديد عن جويس ؟

خيّب ردّ فعله آمالها فوجهه ظل جامداً كالصخر وصوته لم يفدها أكثر ، اذ اجاب :

ـ وكيف لي أن أعلم شيئاً عنها ؟ ثم ما الفائدة من ذلك ؟

ـ ظننت أن . . . انها قد تتصل لتحاول شرح . .

لم يدعها رالف تكمل جملتها :

ـ لقد شرحت كل شيء في رسالتها فلا حاجة لأن تتصل بي خصوصاً أنها صارت امرأة متزوجة . (نظر رالف اليها بمكر وزاد) ، الاّ اذا كنت تخشين اكتشافها لخطئها وعودتها اليّ نادمة . . . لا يا عزيزتي ، اطردي هذه الأوهام من رأسك .

وصلا الى الرواق المؤدي الى سكن الممرضات فتوقفت لورا وقالت :

ـ سأذهب الى غرفتي الآن .

ـ سأكون بانتظارك على المدخل الرئيسي فأرجو ألا يستغرق غيابك أكثر من عشر دقائق .

ابتسمت لورا وهي تتخيّل تعليق جويس على كلام كهذا . أما هي فلا تحتاج في الحقيقة الى أكثر من دقائق لتعتني بمظهرها العادي . وهكذا استحمت بسرعة ، ثم زيّنت وجهها ببساطة كبيرة وسرّحت

شعرها بالطريقة عينها . وأخيراً ارتدت فستاناً رمادياً لماعاً يشكّل الخروج الوحيد من كلاسيكيتها في التأنّق . كما أضاف معطف من اللون عينه وضعته على كتفيها ومشلح وردي لفّته حول عنقها شيئاً من الرونق والبهجة الى مظهرها . وتوجهت أخيراً نحو المدخل وعيناها تراقبان بزهو حقيبة يدها وحذاءها اللذين اشترتهما بسعر مرتفع منذ بضعة أسابيع في غمرة ما اعتبرته فورة تبذير . على البوابة الرئيسية وجدت رالف متكئاً الى حائط يتحادث والدكتور بيرنيت . توجّه الرجلان اليها لمّا شاهداها ووقف الثلاثة يتحدّثون لبضع دقائق قبل انسحاب بيرنيت .

ـ اسجل لك نقطة ايجابية يا لورا ، وهي دقة مواعيدك . لنستقل سيارة اجرة .

عبرا الشارع الى الطريق العام حيث وفّقا فوراً بسيارة . صعدا اليها وقال رالف للسائق :

ـ الى مطعم البارون في شارع غوتو من فضلك .

ولما رأى الرجل ابتسامة لورا سألها :

ـ أتعرفين المطعم ؟

شعرت لورا ان في صوته ضجراً عميقاً فودت لو انها لم تحضر الى هذه السهرة .

ـ لا ولكنني أعرف الطاهي لأنه كان نزيل المستشفى منذ مدة قصيرة .

لم تجد الفتاة ما تقوله غير ذلك ورالف لم يساعدها بدوره على ايجاد موضوع للتحادث . ولحسن الحظ لم تكن الرحلة طويلة فما هي الا دقائق حتى بلغا مقصدهما . سرّت لورا لما رأت المطعم يغصّ بالناس مما يلطّف الجو ويضفي على جلستهما شيئاً من مرح المحيطين بهما . وجلست الفتاة الى الطاولة وفكرها مشغول بالبحث عن مواضيع تثير اهتمام جليسها حتى لا تشعر بالسأم . تنوّعت طلباتهما بين السمك وشرائح العجل المشوية اضافة الى مقبلات متنوعة . ولما ابتعد الخادم

حاملاً ورقة الطلب في يده ، استوى رالف على كرسيه وقال بواقعية :

ـ لنتناقش بعض المسائل بروح عملية .

رمقته لورا بنظرة خائفة ، وهي تتساءل ما اذا كانا سيمضيان حياتها بالروحية العملية الجافة . فالعمر دون مسحة عاطفة وغلاف شعور ، أيام تنساب بلا معنى ولا نكهة . ولكن لا بأس ، فلعل عامل الوقت ينسيه جويس ويولّد في نفسه تجاه لورا الحرارة التي كان يلفح بها الأولى عندما يكلمها أو ينظر اليها . حبّذا لو يعود بريق الحب الى عينيه المحفورتين في وجهه كقطعتي فحم أسود . . .

وافقت الفتاة على اقتراحه وهي ترتشف بعضاً من عصير التفاح الطازج الذي انعشها وساعدها على مواجهة ما يريد رالف بحثه . لكن الرجل لم يحرك ساكناً وظل يراقبها كأنه ينتظر منها ان تبدأ الحديث ، ولورا بدورها بقيت صامتة تصب اهتمامها على الكوب الذي أصبح نصفه فارغاً . أخيراً نطق الرجل :

ـ تبدين جميلة الليلة بتخليك عن الملابس السخيفة التي ترتدينها في البيت .

سرّت لورا بهذا الاطراء رغم كون شقه الثاني لاذعاً وعقّبت بحدة :

ـ وماذا تريدنني أن أرتدي عندما اقوم بكل الأعباء المنزلية ؟

ـ لن تكوني بحاجة للقيام بأي عمل في المستقبل لأن مدبرة المنزل ممتازة وستريحك من التنظيف والطهو ،(واستدرك رالف)، لا أعني بالطبع أن طهوك سيء فقد اتحفتني بعدة أكلات شهية .

ضحكت لورا معلقة وهي تشير الى شريحة اللحم أمامها :

ـ شكراً على المديح وان كنت بعيدة عن مستوى الطاهي الذي أتاني بهذا الطبق اللذيذ ، (ومرّة جديدة أرادت لورا امتحانه فتابعت) ، جويس طاهية سيئة للغاية .

تحوّلت قطعتا الفحم الى جليد أسود وقال صاحبهما :

ـ لا أرى الفائدة من هذا الحديث ، أفلا كففت عن ذكر جويس بمناسبة وبدون مناسبة .

ـ فليكن ما تريد رغم انني لا اؤمن بقدرتك على نسيانها بالبساطة التي تزعم ، (ازاء صمته أضافت) ، ما هو تعليقك على قولي ؟

لم ينبس رالف ببنت شفة بل اكتفى بالسؤال بعد صمت طويل :

ـ هل قدّمت استقالتك من العمل ؟

ـ نعم . سأترك المستشفى بعد ثلاثة اسابيع ويوم واحد .

ـ هذا يعني ان الزواج سيتم في أوائل تموز (يوليو) . موعد مناسب تماماً يتيح لنا تمضية عطلة قصيرة قبل العودة الى هولندا .

ـ ألا ترى انك تنفرد بقراراتك بعض الشيء ؟

ـ أفهم من ذلك أن وقتك لم يسمح باتخاذ القرار النهائي .

ـ تماماً . أتساءل كيف تستطيع اعتبار المسألة منتهية بهذه السرعة . علينا وضع النقاط على الحروف حتى نبني حياة مشتركة ناجحة ، وأول ما يجب توافره هو الصراحة المطلقة بيننا باعتبارنا صديقين .

ـ أنت على حق يا لورا فالصراحة عنصر أساسي في الحياة الزوجية . كما أود أن الفتك انه على واحدنا الحرص على عدم التدخل في شؤون الآخر ، (لمح رالف الذهول في عينيها وأردف) ، هذا يعني اننا سنعيش معاً براحة ورفاهية مع الحفاظ على خصوصيات وحميميات كل منا بعيدة عن منال الآخر .

أثار قوله الرعب في نفس لورا وشعرت برغبة كبيرة في ترك المطعم والرحيل عنه بعيداً . لكنها لا تستطيع أن تهرب من حبّها لهذا الرجل المتغطرس المتكبر الجالس أمامها والذي يملي عليها مستقبلاً تستبعد أن يجلب معه حب رالف ، ولكنها تأمل أن يحمل لها حياة هادئة وشيئاً من العاطفة تتولد في نفس حبيبها نحوها . وفي اي حال هي لا تملك شيئاً بديلاً اذا رفضت الزواج من رالف ، فساعتها تقع في الفراغ القاتل .

وافقت الفتاة على كلام الطبيب مازحة :

- فكرة سديدة . والآن ماذا عن حفل الزفاف ؟

- سأصحبك من البيت بسيارتي ، ونذهب لنتزوج بهدوء في احدى المناطق الريفية .

- أنا لا احب الضجة وأحبذ هذه الفكرة أيضاً . أين تقطن في هولندا ؟

- منزلي يقع في منطقة ريفية بين مدينتي هيلفرسوم وبارن . وهو محاط بالغابات الواسعة وقريب من عدة قرى صغيرة . وموقعه هذا استراتيجي جداً بالنسبة لعملي فيتيح لي الحصول على زبائن من المدينتين ومعاينة المرضى في مستشفى كل منها كما اني استقبل بعض المرضى في منزلي . ويعاونني شريكي الطبيب الشاب يان فان نيهوف .

ومرّة أخيرة حضر الخادم بطبقين فانتظرت لورا ذهابه حتى سألت :

- أليس لك عائلة ؟

- لي اخت متزوجة تعيش في دن هاغ ، وشقيقان طبيبان ، احدهما يعمل في كندا والثاني فتح عيادة في ليدن ، اما والدتي فمتوفاة ، ووالدي تقاعد من العمل الطبي مقصراً نشاطه على القاء بعض المحاضرات في الجامعة والاعتناء بحديقة منزله الواقع في لونين قرب هيلفرسوم .

علقت لورا وهي تكاد لا تصدق ما سمعته :

- الجميع في العائلة أطباء ؟

- جميع الذكور ، كما أن شقيقتي متزوجة من طبيب جراح في العظم .

لما رأت لورا الابتسامة النيّرة على وجهه تشجعت وسألت :

- أتعلم العائلة بأمر زواجك ؟

- هم يعلمون بأن الزواج مجرد احتمال مطروح .

تنهدت الفتاة بارتياح :

- اذن هم ليسوا على علم بأني بديلة جويس .

هز رالف برأسه موافقاً ثم غيّر الموضوع وانهمك باختيار نوع من الحلوى لاختتام العشاء . ولما أحضر الطبقان الأخيران التهم رالف ما أمامه بنهم في حين لم تجد لورا لذة تذكر بسلطة الفاكهة المنوّعة ، بل صبّت اهتمامها على الحديث عن الطقس الجميل والمشاريع الصيفية ، عن الكلب الذي أنقذاه على الطريق ، وتطرّقت الى مواضيع أخرى مختلفة لا يقل واحدها سخافة عن الآخر . وفي هذا الوقت كان رالف يجيب على أسئلتها بقدر كبير من التهذيب وبذرّة من الاهتمام ، اذ ان فكره مشغول بوضوح بأشياء مغايرة تماماً لأحاديث رفيقته . نهض الاثنان أخيراً وتوجها الى المستشفى دون أن تكف لورا عن توجيه عبارات الشكر والود التقليدية لرالف . وعندما ترجلا قرب المدخل الرئيسي خرجت الفتاة عن تحفظها وقالت :

- لا . . . لن تنجح . فأنا مملّة جداً وأحس بأنك تكره كل لحظة تمضيها بصحبتي ! فلنوقف هذه المهزلة قبل فوات الأوان !

قبض الرجل على ذراعها بشدة حتى كادت تصرخ من الألم ، وقال :

- آسف يا لورا اذا ظهرت منزعجاً ، لكنني في الحقيقة لم أكن كذلك . جلّ ما في الأمر اني فشلت في مجاراتك وفي بدء علاقة جديدة بطريقة مناسبة . عليك مساعدتي بالتصرف تصرفاً طبيعياً بعيداً عن التكلف ، واعترف انك نجحت حتى الآن بالقيام بهذه المهمة بسبب هدوئك وتواضعك . ارجوك أن تصبري عليّ قليلاً لأشفى من رواسب صدمتي . . . (ابتسم الرجل بعصبية وأضاف) ، انا انسان فاشل ، أليس كذلك ؟ احس كأنني أفقت لتوي من حلم رائع وفتحت عيني على الواقع ، وأنا بالتالي محتاج الى كثير من الوقت لتتوضح صورة هذا الواقع أمامي من جديد . (خفف الرجل من شدة قبضته وتابع) ، لا اظن يا لورا انه بامكاني البوح بما قلته لأحد

غيرك .

انحنى رالف فجأة وعانقها بحنان وهي تنظر اليه باسمة لا تدري ما تقول أو تفعل ، أتبكي أم تضحك ؟ أتفرح أم تحزن ؟ موقف غريب وغير لم تعرف له مثيلاً في حياتها . وبعد ذلك فجر رالف قنبلة جديدة إذ قال :

- كنت مخطئاً عندما قلت انك فتاة غير جذّابة

لم تجد لورا الكلمات المناسبة للتعليق فتمنت له ليلة طيبة وانسحبت الى غرفتها ، حيث جلست أمام المرآة تحدق في وجهها . ولما تأهبت للذهاب الى النوم قالت في نفسها : لا بد ان الضوء كان خافتاً عندما أبدى ملاحظته الأخيرة . في اليوم التالي فوجئت لورا برالف يصل الى مكتبها بينما هي غارقة في خضم من الأوراق . وعاجلها بسؤال شكلي ما دام قد حصل على الجواب بطريقة ما :

- هل انت حرّة بعد الخامسة ؟

- نعم ، لماذا ؟

- بامكاننا الذهاب الى قريتك لاتمام بعض معاملات الزواج لدى السلطات المحلية اذا وجدت نفسك مرتاحة .

لم يخن صوتها الهادىء الاثارة المشتعلة في داخلها عندما قالت :

- فكرة جيدة . لكنني قد أتأخر الى ما بعد الخامسة بقليل .

مكث الرجل عندها بضع دقائق ثم ذهب وتركها مع أوراقها وتكهناتها . وأخذت تفكر بالعرس البسيط الذي يريده رالف ، وبالعطلة القصيرة التي سيمضيانها قبل السفر الى المنزل الزوجي في هولندا . أتستطيع لورا اعتبار هذه العطلة شهر عسل أم ان الزواج المعقود « بالتراضي » لا يعترف بهذه التفاهات الرومنطيقية . لم يطرد الأفكار السوداء من رأسها سوى تفكيرها بما سترتديه في يوم العرس . وساهم هذا الأمر بعودة النشاط اليها واستطاعت انهاء التقرير اليومي وتسليمه لبديلتها بات . ارتدت لورا ملابس البارحة نفسها ، وهو أمر لا تفعله جويس ، وبذلت كل ما في وسعها حتى لا

تتأخر كثيراً ، ومع ذلك كانت عقارب الساعة تشير الى السادسة لما فتحت باب الغرفة لتنزل الى المدخل . وبينما هي تقفز السلالم تذكرت ان رالف ليس لديه سيارة ، وانهما سيضطران الى ركوب القطار المزدحم في مثل هذه الساعة ازدحاماً خانقاً . ولكنها مخطئة اذ عندما وصلت الى بوابة المستشفى رأت رالف متكئاً على مقدم سيارة قديمة من طراز موريس تخص جورج وايت . بادرت الفتاة الى القول :

- مرحباً . قل لي بحق السماء كيف استطعت اقناع جورج باعارتك سيارته ، فهو لا . . .

قاطعها رالف :

- لكل قاعدة استثناؤها . لقد أقسم لي انها تمشي كالغزال ، والمهم أن توصلنا . اما اذا تعطلت فسيكون ذلك درساً قاسياً لأنني لم احضر سيارتي .

- لماذا لم تحضرها ؟

اجاب رالف والسيارة تتغلغل في زحمة شوارع لندن :

- لم يكن لدي المتسع من الوقت وأردت رؤيتك بسرعة يا لورا ، لذا جئت بالطائرة .

لم تجد لورا تعليقاً سوى ايماءة برأسها وظلت ساكتة حتى خرجا من المدينة وبلغا ضواحيها وهناك استوضحت :

- ما سبب رغبتك برؤيتي ؟

- أردت التأكد من نهائية قرارك فأنا من جهتي عاقد العزم على المضي بالخطة حتى النهاية .

زاد رالف من سرعة السيارة القديمة والتي فوجىء بقوتها ومتانتها . ولورا جالسة بقربه تحلل كلماته معتبرة انه يبذل وسعه لينسى جويس والخيبة التي هزّته إثر رحيلها . ثم أمعنت النظر في وجهه متسائلة عن صحة عزمه على تنفيذ الاتفاق الذي يريد عقده معها . هل من المعقول أن يمضي رجل حياته مع امرأة بدون أن يلوّن

علاقتهما بالعاطفة ، ام ان رالف سيلين ويمنحها بعضاً من حنانه ؟ اللهم ألّا تظل ذكرى جويس هاجساً ملازماً لها تقضّ مضجعهما وتفسد حياتهما . قطعت لورا تساؤلاتها قائلة :

ـ اسلك المنعطف التالي الى اليمين فالطريق من هنا أقصر .

شرع رالف يتحدث عن أشياء متنوعة وغير مهمة ، لكن لورا سرّت بها اذ اكتشفت من خلالها انهما يملكان آراء ومواقف مشتركة من كثير من الامور . وشيئاً فشيئاً شعرت بالانسجام التام معه وزوال اي حاجز أو تحفظ بينهما . ولما وصلا الى البيت كانت لورا في قمة ارتياحها الى الرجل الذي سيشاطرها حياتها . مرّت الأمسية بشكل مرضٍ ، اذ وافق الوالد بسهولة على الزواج في حين أنّ العجوز تصرّف كأن الثنائي مصمم على الزواج من زمان او كأن لا وجود لعلاقة سابقة بين رالف وجويس . ثم جلس الأربعة يتحادثون لنصف ساعة وبعدها انسحب الثنائي الشاب لمقابلة مختار القرية . استقبلهما الرجل الفضولي اللجوج وأغرقهما بأسئلة لا تنتهي ، حتى انه قال لرالف :

ـ اعتقدت خطأ أن صغيرتنا الساحرة جويس هي التي كانت ستصبح عروساً لك . لقد ارتني يوماً خاتماً ثميناً رفضت أن تقول لي من قدّمه لها ، والآن عرفت أنه ذلك الشاب الاميركي الثري . من المؤسف انهما لم يتمكنا من عقد قرانهما هنا في القرية ، ويبقى المهم أن يسعدا في حياتهما ويبنيا عشاً زوجياً متيناً . نظر الرجل الى لورا مستوضحاً ، هل وصلتكم أخبار جديدة عن شقيقتك ؟

تولى رالف الاجابة بايجاز معيداً ذاكرة المختار الى امر زواجه ، ثم سأله :

ـ أتعتقد أن العاشرة صباحاً وقت مناسب للزواج ، أم انه موعد مبكر ؟

أجاب المختار :

ـ بالطبع لا ، خاصة انكما تريدان زواجاً بسيطاً هادئاً . لا شك

أن أهل القرية يتمنون حضور الزفاف نظراً لشعبية لورا ومحبة الجميع لها . (ابتسم الرجل بخبث قائلاً) ، ترى ماذا سترتدين للمناسبة يا عزيزتي ؟ وما ازال اذكر ملابسك الجميلة عندما أقام والدك حفلاً لذكرى ميلادك من ثلاثين سنة بقليل . لم تتمالك لورا من الارتجاف لهذه الملاحظة القاسية التي أراد فيها الرجل تسجيل نقطة أو تنبيه رالف الى عمر عروسه . ومع ذلك قالت بكل ثقة :

ـ لم يتح لي الوقت للتفكير بما سأرتدي يا سيد كارتر . اعذرنا لاضطرارنا الى الانصراف اذ لدي عمل في الغد ، فهل اتفقنا اذا على الساعة العاشرة ؟

ـ اتفقنا .

عاد رالف ولورا الى البيت ، كما ذهبا ، سيراً على الأقدام . وفي الطريق قال الرجل :

ـ اعتقد ان اهل القرية سيفرحون لو اقمنا عرساً بهياً وسارت خلفك عشر وصيفات يحملن الطرحة البيضاء الطويلة .

لم تعلق لورا على هذا الكلام بل استسلمت لنظراته تتفحصها جيداً ليخرج بنتيجة جديدة :

ـ انت تبدين أصغر من عمرك الحقيقي يا لورا .

شكرته الفتاة متظاهرة بالغباء ومعتبرة كلامه مديحاً ، مصممة على الانتقام منه في المستقبل والرد على كل ملاحظة جارحة يبديها بحقها . مرّت بقية الأمسية بسلام اذ استطاع رالف الانسجام في احاديث والد لورا وجدّها المحنك ، بدون أن يبدي ما يكشف الألم الذي يعتصر قلبه . ولم تلاحظ لورا عليه شيئاً الّا عندما ذكر العجوز عمداً اسم جويس فتوتّر الطبيب الشاب قليلاً وفي عينيه ما يشبه الحنين . ومع ذلك استمتعت لورا برحلة العودة ، ولو أظهر رالف المزيد من الاهتمام بحفل الزفاف وبأحاديثها عامة لاستمتعت اكثر . في المستشفى أوصلها الى جناح سكنى الممرضات متمنياً لها ليلة هادئة وواعداً بلقاء قريب ومضيفاً قبل ان ينسحب :

ـ انا مدين لك بخاتم أرجو ألا أنسى احضاره في المرة المقبلة .

تعجبت لورا لهذه الطريقة الغريبة لاتمام خطوبة ، وكأن الأمر بسيط للغاية يتعلق بشراء علبة سجائر .

أوت الممرضة الى فراشها وهي تقول في نفسها أنها ما كانت تقبل بالزواج من رجل محطم ومجرد من الشعور كرالف ، لولا انها واثقة من صلاحها زوجة له وقدرتها على أن تنسيه جويس المشاكسة رغم غيابها .

٥ـ زوجان أم صديقان؟

مرّت الأسابيع الثلاثة الأخيرة للورا الممرضة بسرعة البرق، لاسيما أنها أمضت أوقات فراغها في الأسواق منفقة قسماً كبيراً مما ادخرته خلال سنوات عملها على شراء الثياب. واختارت ثياباً مميزة تضيف لمحة جذّابة الى تكاوينها العادية غير الموحية . وبالنسبة الى ما سترتديه يوم الزفاف انتقت فستاناً يتراوح لونه بين الابيض والرمادي ، وقبعة بيضاء مخططة بالاحمر تتناسب تماماً مع خاتم الياقوت الذي اهداها أياه رالف والذي سبق لجويس ان رفضته لانه غير عصري . ولورا لا تملك بالطبع قدرة جويس، وهي في أي حال أعجبت بياقوتاته الحمراء الثلاث المحاطة بترصيعات من الماس والمصبوبة في اطار من الذهب. كما اعتبرت ان كونه مناسباً لحجم اصبعها بشير خير وفالا

حسناً. وأنفقت ما بقي لديها من المال على مزيد من الملابس والاحذية الصيفية والشتوية وعلى ملابس النوم الفاخرة. وبعد ان فرغ جيبها من السيولة تنبهت الى ان فساتين السهرة التي لديها لم تعد تناسب الموضة الجديدة، ولكنها املت بألاّ يكون رالف من النوع الذي يحب الخروج الى السهرات والا لافتضح أمرها. وبينما هي تفكّر في حل لهذه المشكلة جاءها الفرج غير المتوقع، اذ وصلها شيك بمبلغ محترم من والدها. وهكذا صرفت المال على شراء فستانين طويلين. الأول زهري اللون يصحبه مشلح من لونه والثاني بني اللون بلون عينيها محاط بالدانتيلة على كمّيه القصيرين وقبّته المفتوحة حتى اعلى الصدر. عندما رضيت لورا واكتفت دعت زميلاتها لرؤية حصيلة المشتريات، وسرّت كثيراً لما فاجأنها بهدية حلوة هي عبارة عن حقيبة كبيرة لوضع الثياب الزوجية. وضبت الفتاة ملابسها الجديدة في هذه الحقيبة وودّعت معارفها قبل ان تغادر المستشفى نهائياً في اليوم التالي.

عملت لورا على ارسال اغراضها وثيابها الى البيت بانتظار ان يمر بها رالف في طريقه من هولندا. ولمّا حان الوقت كان الطبيب الهولندي بانتظارها على المدخل وهي خارجة اليه محاطة بجمهرة من صديقاتها الحميمات. وهذه المرّة لم يأتِ الرجل بسيارته الصغيرة السريعة بل بسيارة فخمة رمادية من طراز رولز رويس، اوقفها في باحة المستشفى. شعرت لورا بالتردد ازاء هذا المشهد ووقفت في مكانها حائرة. عندها تقدّم منها رالف وانشغل الجميع بالكلام وتبادل المزاح، فزال التوتر عن لورا تاركاً محلّه للفرح والاثارة. وأخيراً ودّعت صديقاتها ودخلت السيارة لتقول:

- ما أروع ان يستقبل المرء بسيارة كهذه!
- رأيت ان هذه انسب من الصغيرة.
- الا تشعر بالارتباك وأنت تقودها؟

اجاب رالف ضاحكاً:

- ولماذا اشعر بالارتباك وقد اعتدت عليها!
- اتعني ان السيارة ملك لك؟
- بالطبع، وما المفاجىء في الامر؟

ترددت قبل ان تجيب وهي تحدّق فيه:

- لا اقصد التطفل والتدخل في ما لا يعنيني، ولكني اتساءل عما اذا كنت ناجحاً الى هذا الحد؟
- اولاً ان الامر يعنيك. ثانياً ان سؤالك وسيلة احتيالية لتعرفي ما اذا كنت قادراً مادياً على شراء رولز رويس، واطمئنك بأني قادر على ذلك.

قطبت لورا حاجبيها وعلّقت بحدّة:

- سؤالي ليس وسيلة احتيالية كما تزعم، بل انا احاول عدم التدخل في ما لا تريد اطلاعي عليه لسبب او لآخر.

أدارت الفتاة وجهها واخذت تنظر من النافذة شاعرة بعدم الارتياح وبشيء من الغربة لوجودها مع هذا الرجل الغامض. واستطاع رالف تبديد بعض من هذا الشعور بقوله بكل ما اوتي من نعومة:

- انا مخطىء، لأنني لم اعرفك على نفسي جيداً. ربما لم يسمح لنا الوقت الضيق بذلك، واعدك بالتعويض عن هذا النقص خلال العطلة. هناك رسالة من والدي بجانبك، افتحيها واقرأيها. نفّذت لورا طلبه وتناولت الرسالة الموضوعة في مغلف كبير، والقصيرة المعبّرة في آن واحد. وبدا من خلال الكتابة ان والد رالف رجل طيّب للغاية. فهو رحّب بها بحرارة بين افراد العائلة، وتمنى ان يلتقيها قريباً ويصبحا صديقين، كما قال حرفياً: وانا واثق من ان منزلتك في قلبي ستكون بمنزلة ولدي رالف.

لم تستطع لورا من خلال الرسالة ان تكتشف ما اذا كان والد رالف يعلم بأمر جوريس ام لا، فهو لم يشر اليها من قريب او من بعيد. طوت الرسالة واعادتها الى المغلف خائفة من الاّ يرضي

مظهرها العاديّ والد رالف الذي يتوقع لابنه بالطبع عروساً خارقة الجمال. نفذ صوت رالف الى اعماق افكارها:

ـ والدي يعلم بأمر جويس. لقد اخبرته بكل شيء عنها ووصفتها بدقّة، وهو بالطبع سيفاجأ... لم تسمع لورا بقية الكلمات اذ احمرّ وجهها ثم تحوّل الى الشحوب، وشعرت بأنها ستنفجر باكية. وسرعان ما تدحرجت العبرات على وجنتيها، فلم تجرؤ على مسحها لئلا يلاحظ رالف ما يحصل. لكن صمتها التام أثار فضوله فما لبث ان التفت اليها وتنهد قبل ان يوقف السيارة الى جانب الطريق الريفية.

حدّق رالف طويلاً في وجنتيها المبللتين وقال:

ـ ما الأمر؟ هل قلت شيئاً أثار غيظك؟

ارتفع صدرها وهبط حتى استطاعت التقاط انفاسها والقول بصوت متهدّج:

ـ انا على ما يرام. كم ستكون مفاجأة. والدك كبيرة المسكين ينتظر عروساً شقراء جميلة، وجل ما سيرى امامه فتاة قبيحة قاربت الثلاثين. لماذا تعمّدت اهانتي فانا اعرف اني قبيحة... طوّق رالف كتفيها بذراعه القوية وشدّها اليه بحنان قائلاً:

ـ يا لي من غبي اخرق! لقد اسأت التعبير يا عزيزتي فوالدي لن يفاجأ بك لأنني اخبرته عنك. صحيح انني لم اصفك ولم اذكر عمرك، لكن هذا غير مهم.

ـ لو كنت امرأة لفهمت انه مهم للغاية، استوت في مقعدها ومسحت دموعها باسمة، ثم اضافت، لا اعلم لماذا تصرفت بهذا الغباء.

ـ كل الفتيات يتوتّرن وهن على عتبة الزواج، فلا داعي للقلق.

وافقت لورا على ملاحظة رالف:

ـ لا شك ان تصرفي ناجم عن ذلك فأنا لا أكون عادة بلهاء الى هذا الحد، أعدك بالاّ اعيد الكرة ثانية.

ـ هذا يعني انك ستكونين زوجة استثنائية. زوجتي الاولى تانيا ارتبكت كثيراً في حفل الزفاف الكبير الذي اقيم بناء على الحاح والدتها المخيفة.

ـ أيضايقك التحدث عن زوجتك الاولى؟

ـ كنت في الرابعة والعشرين وكانت في الثامنة عشرة لما تزوجنا. وقد قضت منذ احد عشر عاماً بداء السرطان في الدم.

ـ آسفة يا رالف، فهذا الامر فظيع ومخيف. من الافضل الاّ تكمل الحديث... ادار رالف محرّك السيارة وتوغلا اكثر فاكثر في منطقة أسيكس الريفية. وبعد السير زهاء ربع ساعة تمتم الرجل:

ـ انها قصة قديمة وذكرها لم يعد يفتح جروحي. قبل وفاتها ببضعة اشهر اكتشفت أنني لم احسن الاختيار، فتانيا تكره عمل الطبيب، تكره المستشفيات وغيابي الطويل عنها، تخاف رنين الهاتف عندما يوقظني في الليل لألبي نداء محتاج... كانت امرأة رقيقة لا تتحمل حياة الطبيب القاسية.

صمت الرجل لحظات طويلة ثم اكمل بهدوء.

ـ غمرت السعادة بيتنا في الاشهر الستة الاولى للزواج، وبعد ذلك بدأت اشك في انها مريضة بدون ان اظهر لها شيئاً. فاتخذت شريكاً يخفف عني اعباء العمل لاستطيع البقاء بجانبها قدر المستطاع. وصرت آخذها الى المسارح، الى المطاعم، الى المراقص، كما ذهبنا عدّة مرّات الى الشاطىء في جنوب فرنسا... باختصار حاولت ان اوفر لها كلّ ما في الحياة من أطايب، لاقتناعي بان القدر القاسي لن يمنحها الوقت الكافي لتحقق سعادتها. وبعد ان ماتت انفصل عني شريكي وبقيت اسير الوحدة في البيت والعمل عدّة سنوات، اشغل نفسي بالانغماس في مهنتي وفي ممارسة التعليم في كلية الطب. ولم اجد شريكاً جديداً الاّ في العام الماضي، والحقيقة ان يان فان نيهوف شاب ممتاز وطبيب ماهر. على فكرة، من واجبي ان انبهك الى ان مشاغلي كثيرة يا لورا.

- لا تقلق بشأني لأنني سأجد ما يشغلني. فعليّ مثلاً تعلّم اللغة الهولندية، كما هناك كلبنا الصغير الذي يحتاج لمن يصطحبه في نزهات. ألم تطلق عليه اسماً ما؟

- سميته لاكي، وهو متوافق تماماً مع الكلب الآخر ماكس. بامكانك أخذ الاثنين في نزهات طويلة على الطرقات الريفية الرائعة المحيطة بالمنزل. نظر رالف اليها وسأل، اتجيدين ركوب الخيل؟

- لم امتطِ جواداً منذ زمن طويل ولكن أعتقد بأنني أستطيع تدبّر الامر مع جواد هادىء.

ضحك رالف معلّقاً:

- سترى اذن ما بوسعنا عمله بهذا الصدد.

- ألست بحاجة لمن يساعدك في العيادة؟

- لدي ممرضة وسكرتيرة، فاذا غابت احداهما تكونين خير بديل. فلنترك هذه المسألة للمستقبل. شعرت لورا، على رغم نبرته الودودة، ان هناك تردداً في كلامه، وكأنه يريد ابعادها قدر المستطاع عن مجال عمله، فاتخذت قراراً بعدم نسيان هذه الرغبة. وتنفيذاً لهذا القرار أمضت بقية الرحلة بالتحدث في مواضيع مختلفة متحاشية خوض امور ذات حساسية، حتى وصلا أخيراً الى البيت.

في المطبخ، بينما كانت منهمكة بتحضير العشاء، انتابت لورا وساوس جعلتها لا تصدّق انها ستتزوج في الغد. وزاد هواجسها قوة عدم الاكتراث الذي بدر من والدها وجدّها ازاء هذه المسألة. صحيح انهما استقبلاها بحرارة لكنهما لم يبدوا متحمسين للعرس، ولا شك في انهما مسروران كون الحفل سيتم بدون ضجة كبيرة تجنباً لأي إحراج بعد الذي حصل بين رالف وجويس. اضافة الى ان الحفلات الكبيرة ترهق الرجلين اذ تضطرهما الى استقبال العديد من الضيوف والقيام بالواجبات المضنية.

اما رالف فانصرف اولاً الى توضيب اغراضه واغراض عروسه في غرفة كل منهما، وبعدها خاض مع الرجلين نقاشاً طبياً شائكاً.

والمؤسف ان السيدة ويتاكر، كانت في بيتها تعتني بأولادها المصابين بداء الجدري. وبالتالي لم يبقَ للورا سوى الهر سوكي يؤنس وحدتها اثناء اعداد الطعام. وهكذا اخذت تناقش الحيوان المسكين، الذي ينتظر عشاءه بفارغ الصبر، بأمر زواجها. ثم وعدته بأنها ستضاعف حصّته من الحليب لانها ستتركه قريباً وتترك الاعتناء به لوالدها.

في هذه اللحظة دخل رالف مقترحاً:

- والدك يود الاحتفال بالمناسبة السعيدة، فهلا انضممت الينا، ام تريدين ان اساعدك بشيء قبل ذلك؟

- لا، فالعشاء اصبح جاهزاً. سآتي معك.

انضمت لورا الى الرجال الثلاثة وجارتهم في مزاحهم، وبعد قليل انسحبت الى المطبخ من جديد لتضع اللمسات الأخيرة على عملها. وفي تلك الليلة أحست لورا بأنها فقدت وعيها وأنها لا تعرف كيف تستقبل الغد. في العاشرة اعتذرت من الرجال وصعدت الى غرفتها حيث غسلت شعرها، حضّرت ثياب العرس، قلّمت اظافرها بعناية كبيرة، واوت الى الفراش. وسرعان ما تسلّل النوم الى عينيها مغرقاً أياها في غفوة منعشة لم يقطعها سوى رنين الساعة في السابعة صباحاً من اليوم التالي.

انتهى كل شيء في غضون خمس ساعات، ووجدت لورا نفسها من جديد في غرفتها تعد العدّة لترحل مع رالف. وخلافاً لمخاوفها تمّت مراسم الزواج وسط جو بهيج اذ حضر معظم اهل القرية وانتشروا على طول الطريق يحيّون العروس ويرشقونها بالزهور والتمنيات المخلصة.

الوحيد الذي بدا قليل الاكتراث فاتر الحماس لما يجري هو رالف. وقالت العروس في نفسها انه كان عليه التظاهر قليلاً بالفرح لئلا يثير شكوك الحاضرين ويدير السنتهم في أقاويل خبيثة.

المهم ان العملية تمت بسلام وبقدر معقول من البهجة، مما طمأن قلب لورا الخائفة من مستقبل مجهول.

خلعت العروس ملابس العرس ووضعتها في الحقيبة، لتستبدلها بملابس صيفية نيّرة. وبعد ذلك زيّنت وجهها وسرّحت شعرها. وقبل ان تخرج من الغرفة وقفت تتأمل باقة الورود العطرة التي اهداها اياها رالف بدون اي عاطفة، بل اتماماً لتقليد كما قال. ومع ذلك قرّرت لورا أخذ الباقة، فحملت حقيبتها ونزلت لتبلغ الرجال الثلاثة انها مستعدة للانطلاق. جلس الثلاثة في المكتبة يتحادثون وكأنهم في أي يوم عادي، لا يبدو عليهم ما يدلّ على خروجهم من حفل زفاف. ولاحظت لورا ان رالف بدّل ملابسه وارتدى بدلة كحلية أنيقة، كما نظرت الى المحبس الذي قدّمته له وتحسست لا شعورياً محبسها الموضوع الى جانب خاتم الياقوت.

التفت رالف ناحيتها ونهض قائلاً:

- ها هي العروس جاهزة. سأذهب لاحضر السيارة بينما تودّعين والدك وجدّك.

نهبت سيارة العروسين الفخمة الارض نهباً في ذلك اليوم المشمس. وأمضت لورا الاميال الاولى صامتة، ولم تتكلم الاّ بعد ان احست ان الصمت ثقل.

- اتعتقد ان باستطاعة جدّي البقاء مع والدي أسبوعاً آخر؟

أجاب رالف، الذي لم يسلك طريق شلمزفورد بل طريقاً اخرى الى لندن:

- ولم لا؟ أنا متأكد من انه سيجد عذراً جديداً ليمكث هنا اكثر عندما تعود لاصطحابه الى هولندا بعد اسبوع، واضاف الرجل مفاجئاً عروسه، بدوت جميلة اليوم في العرس، وفستانك هذا رائع يا عزيزتي.

اكتفت العروس بتمتمة كلمات شكر لأن اطراء رالف فاجأها تماماً، ولتهرب من الاحراج استوضحت:

- الى اين نحن ذاهبان؟

- ألم اقل لك الى اين؟ يبدو انني مصاب بفقدان الذاكرة هذه

الايام! سنسلك طريق كادنام باتجاه قصر كورف فقد حجزت غرفتين هناك. هل زرت هذا القصر يوماً؟

- مرتين ولكني لم امكث فيه الليل. انه مكان رائع.

- اخشى الا يكون القصر هادئاً في مثل هذا الوقت من السنة ولكننا سنخرج في النهار الى حيث تقودنا الصدفة. وفي أي حال بامكاننا الذهاب الى مكان آخر اذا لم ترق لك الفكرة، فكل شيء قابل للنقاش.

- الفكرة رائعة خصوصاً أني احب النزهات العفوية غير المبرمجة، فهكذا يتاح لي فرح الاكتشاف.

كانت بقية الرحلة ممتعة الى حد كبير ولورا امضت القسم الكبير منها تحاول استيعاب حقيقة زواجها من فارس احلامها. اما رالف فبدا كأنه يخرج مع صديقة لا زوجة مضفياً على الجو مسحة من البساطة. ولم تدرك لورا حقيقة الزواج الاّ عندما وصلا الى قصر كورف الحجري القديم، المزروع وسط المروج كلوحة في أساطير الاطفال وكلمة مسكرية في أخيلة الشعراء. ولم تصدق العروس اذنيها عندما توجه اليها موظف الاستقبال بالسيدة فان ميروم، وعندما ابلغه رالف ان السيدة ترغب بالصعود الى غرفتها فوراً. تبعت لورا الحمال الى الغرفة ووجدت انّ زوجها حجز غرفتين متلاصقتين في الجهة الخلفية للقصر، يفصل بينهما باب صغير. واعجبت كثيراً بفخامة الاثاث المحافظ على أجواء القرون الغابرة بدون اهمال وسائل الراحة العصرية. بدأت بفك حقيبتها وتعليق ثيابها في الخزانة ورالف لم يظهر بعد. ثم اغتسلت وخرجت الى الشرفة تتأمل المشهد الطبيعي الفتّان، وفي هذه اللحظة انضمّ اليها زوجها. كانت الشرفة الاطار المناسب لتناجي الحبيبين، لكن اين رالف من الرومنطيقية في هذه اللحظات؟ فهو قصّر كلامه على سؤالها ما اذا كانت جائعة، وانه يفضل تناول العشاء باكراً والذهاب بعده في نزهة الى المدينة الصغيرة المجاورة. قال قبل ان ينسحب الى غرفته:

- سأعود بعد ربع ساعة.

نزعت لورا ثوب الحمام وارتدت فستاناً جديداً لترضي نفسها قبل اي احد آخر، فما الفائدة من شراء الثياب اذا بقيت سجينة الخزانة؟ وأخذت تتأمل الثوب في المرآة الكبيرة، ووجدته جميلاً جداً بحريره الخالص المائل الى اللون العسلي. كل هذا لم ينتزع أي تعليق من رالف الذي اكتفى بالاشادة بسرعتها في ارتداء الثياب على خلاف معظم النساء. وتوجّها الى قاعة الطعام حيث جلسا الى مائدة صغيرة قرب النافذة تطل على ساحة القصر. ووجدت لورا هذه الساحة متعة للعين لما فيها من جمال في فنّ العمارة، كما وجدت فيها موضوعاً لفتح حديث مع رالف حول مختلف فنون البناء القديم. نظرت لورا خلال العشاء حولها فرأت الصالة تغص بالزبائن، وقالت في نفسها ان احداً من الحاضرين لا يرى فيها وفي رالف عروسين. وبالفعل كان تصرّفهما تصرّف زوجين قديمين جاءا ليمضيا عطلة مريحة بعيداً عن ضوضاء الحياة اليومية. وكادت لورا تعلّق على هذا الواقع لكنها ارجأت الامر حتى يصبحا وحيدين تجنباً لاغاظة رالف. وفجأة صرّح رالف بما يدور في خلدها:

- لا بد اننا النموذج الاسوأ لعروسين لم يمض على زواجهما سوى ساعات قليلة، ابتسم بحنان مضيفاً، لربما كان من الافضل ذهابنا الى احد الفنادق الضخمة حيث تقام الحفلات الراقصة ليلياً، فهذا يساعد على وضعنا في جو حميم.

- لا أظن انك مصيب، فالجو الهادىء هنا يسهم في جعلنا نتعرّف الى بعض. والذهاب الى الحفلات الصاخبة او المطاعم المكتظّة لا يقرّب النفوس من بعضها.

وافق رالف باشارة من رأسه ثم سأل:

- ألم تندمي على هذا الزواج؟

- لا ولكني لم اتمكن من تقييمه بعد وان كنت اعتقد ان لا سبب جوهرياً يجعلني اشعر بالندم، كما انني اخذت مهلة شهر للتفكير ملياً

بخطوتي بعيداً عن اي انفعال.

- اقر بأنك لست انفعالية مع العلم انك تسرّعت قليلاً عندما وافقت على عرضي.

علت الحمرة وجنتي لورا وبالرغم من ذلك تمكّنت من صبّ القهوة في فنجانه بيد ثابتة.

- ألم تتسرّع بدورك عندما قدّمت العرض؟ وفي اي حال قد يكون من المجدي الاقدام على بعض الافعال انفعالياً، فان اصرّ المرء على رؤية كل شيء بوضوح لن يتمكن من اخذ قرار واحد طيلة حياته، وضعت السكر في فنجانه وزادت، هناك الكثير من الاسئلة أودّ طرحها في الأيام المقبلة فارجو الاّ تمتنع عن الاجابة عليها.

- لا مانع عندي بشرط الاّ تبدأي بها الليلة، فالجوّ جميل يغري بالسير في الطبيعة، ولا أنوي السماح لأي شيء بافساده.

قام الزوجان بنزهة طويلة حول المدينة حيث تفرّجا على واجهات المحلات التجارية، كما توقفا طويلاً عند مبنى المكتبة القديمة وقرأا ما نقش على اللوحات الحجرية المثبتة على جدرانها. ولمّا عادا الى الفندق تناولا الشاي ثمّ صعد كلّ منهما الى غرفته.

قررت لورا عدم التفكير بما سيحصل لها مع رالف بل الاقتناع بما نالته حتى الآن وان يكن شاذاً عن كل قواعد الزواج على امل ان يحمل المستقبل افضل من ذلك اذا نجحت في كسب حبّ زوجها واهتمامه. وما كادت العروس تستلقي على فراشها حتى غاصت في نوم عميق عوّض عن تعب النهار الطويل.

أفاقت لورا منتعشة في الصباح التالي وتناولت طعام الفطور مع عريسها في غرفته. ثمّ توجها لقضاء اليوم في المدينة المجاورة سالزبوري حيث يستطيع الزائر التعرف الى بعض القصور القديمة. وعند الظهر تناولا طعام الغداء في مطعم جميل اسمه روز اند كراون وبعدها عادا الى قصر كورف، مروراً بكوخ على الطريق النائية تناولا فيه الشاي مع مالكته العجوز التي حوّلته الى مطعم متواضع. والى

جانب الشاي قدمت لها كعكاً ومربى المشمش من صنع يديها. وفي الكوخ اجرت لورا في فكرها جردة حساب للنهار المنصرم فارتاحت الى صحبة رالف، وخاصة انهما لم يخوضا في احاديث تمت بصلة الى حياتها الزوجية. واكتفى الرجل باعطائها رؤ وس* اقلام عن نمط العيش في هولندا، ووجدت انه مشابه كثيراً للحياة الانكليزية الامر الذي اشاع في نفسها الارتياح. وتمنت لورا لو انه حدثها المزيد عن نفسه وعن عائلته، لكنه سيجد الوقت الكافي لذلك في الفندق.

ودّع العروسان العجوز النشيطة المرحة، وتوجّها الى السيارة. وهناك جلس رالف تاركاً مقعد السائق للورا التي عارضت بشدة:

- مستحيل ان اقود رولز رويس فقد نتعرّض لحادث وتتحطم السيارة.

- ولماذا التشاؤم يا لورا؟ قوديها كأي سيارة ولن يحدث شيء، كما انني بجانبك وبامكاني تدارك اي خطر.

اذعنت لورا لمشيئته وقادت السيارة بعصبية اول الامر، وما لبثت ان اعتادت عليها واخذت تتصرّف بكل ثقة متمتعة بقيادتها. وعندما بلغا الطريق العام استلم رالف القيادة درءاً لأي خطر، ووعد لورا بمنحها سيارة خاصة في هولندا.

فرأت العروس انه من اللائق الرفض من حيث المبدأ:

- انت تملك سيارتين.

- من الافضل ان تكون لك سيارة خاصة وصغيرة بالطبع، فهذا اسهل عليك من قيادة السيارات القوية.

مرّت الايام على الوتيرة نفسها: خروج في النهار الى الطبيعة السخية والى انحاء المدينة الجميلة. اما لورا فكانت في كل هذا تشعر ان هناك حاجزاً رقيقاً يفصل بينها وبين زوجها، مع الشعور المتبادل بالارتياح والتوافق في الآراء والاذواق. واذا اضيف هذا العنصر الايجابي الى انشغال رالف في عمله عندما يعودان الى بلاده كانت حياتها مقبولة ومستقبلها مرضياً. فهي لا تطلب اكثر من الامان في

كنف رجل كريم الاخلاق يحترم المرأة. قبل تركهما قصر كورف بيوم واحد زار العروسان البحيرة الزرقاء بناء على نصيحة عدد من نزلاء الفندق. وللوصول الى المكان سلكا درباً ضيقة تتعرّج صعوداً في التلال الخضراء حيث تتناثر من حين الى آخر بيوت ريفية صغيرة. واضطر رالف الى القيادة بتمهل نظراً لضيق الطريق وكثرة المنعطفات الخطرة فيها. ومن بعيد لمحا اخيراً سوراً حديدياً عليه لافتة تشير الى اسم المكان، فاوقفا السيارة في الخارج ودخلا المتنزه.

انعقد لسان لورا من الدهشة لجمال المكان، اذ تاها بين اشجار متنوعة تحيط بها شجيرات كثيرة وزهور مختلفة. وبعد هذا الحاجز الاخضر امتدت البحيرة الصغيرة بمياهها الرقراقة البرّاقة الفيروزية اللون. وقفت العروس تتأمل جمال الطبيعة التي منحها الله للانسان بدون مقابل متعة للعين ومثار بهجة للنفس. فليس انسب من مكان كهذا لاراحة انسان متعب والترفيه عن نفس مثقلة بالهموم.

- ايعقل يا رالف ان تكون هناك مياه بهذه الزرقة الساحرة؟

- انها رائعة فعلاً، امسك رالف بيدها واقترح، هيّا نتوغل اكثر.

تمشى الزوجان حول البحيرة ينظران الى مياهها تعكس صفحتها صورتهما، وكأنهما يحاولان عبثاً معرفة سر سحرها ولا تنجح عيونهما بالنفاذ الى اللغز العميق. وبعد ساعة من السير وجدا مقعداً خشبياً قريباً من المياه فجلسا ليرتاحا قليلاً. وما زاد الجو حلاوة قلّة الزائرين الا العصافير التي ملأت بشدوها الدنيا فرحاً ونفسي الزوجين حبوراً وخفّة.

تنهدت لورا وصاحت عالياً:

- اذا شئت الفرار يوماً سألجأ الى هذا المكان.

نظر رالف اليها مستغرباً:

- لماذا تقولين ذلك؟

- لا سبب لهذا القول، انه مجرّد احساس شاعري. فأنا لم ولن اهرب من وجه اي مشكلة مهما صعبت، افتر ثغرها عن ابتسامة

حلوة وتابعت، سنذهب غداً الى هولندا وانا ما زلت اجهل الكثير عن منزلك.

ـ من الاصح ان تقولي، منزلنا.

احست لورا بالحرارة تغلّف نبرته وحزن قلبها لذلك. لقد اعتقدت في الايام الاخيرة انها صارت تعرفه جيداً، واذا بها تكتشف انها فشلت في النفاذ الى اعماق نفسه لمعرفة حقيقتها. واصبحت واثقة من انه ما زال يحب جويس وعليها بالتالي القبول مؤقتاً بالواقع ومماشاته في لعبته والدور الذي رسمه لها. دور باهت يخلو من الاثارة لا من الاهمية، وهي مصممة على اعادة شعلة الحياة اليه.

بعد يومين جلست لورا في السيارة قرب رالف بصحبتها جدّها الغارق في المقعد الخلفي. وتوجه ثلاثتهم الى الساحل الانكليزي ليستقلا باخرة تنقلهم والسيارة الى هولندا.

والنتيجة التي خرجت منها العروس من تجربة الاسبوع كانت مرضية الى حد كبير، ولذلك طمأنت جدّها عندما استوضحها عن سعادتها بدون ان تنسى ان للمستقبل محاذيره... ولورا مستعدة لمواجهة هذه المحاذير في حينه.

٦ ـ صورته موشومة في القلب

انقلب الطقس فجأة قبل أن تصل السيارة بالمسافرين الثلاثة الى هاريتش حيث سيستقلون الباخرة الى هولندا. فقد اكفهرّت السماء وتلبدت بالغيوم الرمادية المتراكضة حاملة معها مطراً غزيراً مصحوباً بعواصف رعدية. واشتدت الريح وهبّت العواصف القوية التي كادت تقتلع السيارة وركابها. ولورا، التي تكره هذا الطقس القاتم، خافت كثيراً وشحبت أكثر فأكثر مع كل ومضة برق وقصفة رعد. وهي التصقت بزوجها في السيارة وعندما صعدا مع العجوز الى متن الباخرة بعد تحميل السيارة وتغطيتها لحمايتها من مياه المطر المختلطة بالأمواج الغاضبة.

لم يبق أحد من الركاب القلائل في مقصورته بل تجمعوا كلهم في

صالون المركب يأكلون ويشربون . أما العجوز فما كاد ينتهي من وجبته الخفيفة حتى أعلن عن رغبته بالذهاب الى مقصورته للاستراحة ، في حين أن رالف شرع يقنع لورا بالصعود الى متن الباخرة للتفرّج على البحر . وساهم في قبول لورا بالفكرة توقف المطر عن الهطول وهدوء العاصفة النسبي تاركة مكانها لريح شديدة تصفر بقوة . وقف العروسان على متن الباخرة المبلل يتصارعان مع الهزات العنيفة لئلا يسقطا . وقالت لورا الناظرة برعب الى صعود وهبوط المياه تحتها :

- ستكون رحلة صعبة .

قابل رالف رعبها بمرح :

- نعم ، خاصة أن الريح ستشتد اكثر .

فهقه الرجل عالياً وكأنه يشاهد فيلماً سينمائياً مثيراً ثم أكمل :

- القي نظرة وراءك يا لورا ، فأنت لن تشاهدي انكلترا قبل وقت طويل .

لم تأبه لملاحظته لأنها غير مكترثة برؤية انكلترا ولو الى الأبد قالت ووجهها يزداد شحوباً :

- اعتقد انني بدأت أصاب بدوار البحر .

رمقها زوجها بنظرة المحترف وقال :

- يا الهي ! هذا يبدو جلياً على وجهك .

وانصرف الى معالجتها بما تيسر وان يكن فشل في منعها من التقيؤ . بعد ذلك حملها بصعوبة الى مقصورتها ووضعها على السرير رغم معارضتها الشديدة . ثم نزع حذاءيها ووضع عليها غطاء بعد أن مسح وجهها بمنشفة مرطبة . كما دق الجرس للمضيفة واختفى . حضرت المضيفة وقالت للورا بلهجتها القروية :

- طلب مني زوجك أن احضر لك هذا الفنجان من الشاي يا سيدة فان ميروم .

- شكراً .

شربت لورا الشاي الساخن بصعوبة وهي تستعد للتقيؤ من جديد ، لكن شيئاً لم يحصل اذ سرعان ما اقفلت عيناها وغفت . لم تفق العروس الا قبيل وصول المركب الى الشاطىء الهولندي واحست بتحسن كبير على رغم أن المركب لم يكف عن الرقص ورأسها لم يوقف دورانه . وساهم الفنجان الثاني والخبز في لملمة قواها . وبذلت مجهوداً كبيراً لتبدو بحالة جيدة أمام زوجها ، ولكنها فشلت في ذلك اذ قارنت بين مظهره الأنيق وحالتها المزرية لما جاء ليتفقدها . وقالت في نفسها : غريب أمر هذا الرجل الذي لم يتأثر بالرحلة المضنية بل على العكس يبدو وكأنه امضى وقتاً ممتعاً على شاطىء تحت شمس دافئة .

لقد أمضى رالف معظم الليل ساهراً وزار خلال هذا الوقت مقصورة لورا اكثر من خمس مرات . ففوجئت العروس بهذا الاهتمام لأنها لم تحظ بمثيله طيلة حياتها ، فوالداها وجّها كل عنايتها الى جويس وحضناها برعاية خاصة لم تذق لورا طعمها . والأخيرة اعتادت هذا الواقع الى درجة انها فوجئت بتصرف رالف . حيّته بغنج معتذرة عن الازعاج الذي صدر عنها ورافقته الى متن المركب حيث ينتظر جدّها . والعجوز كان في أحسن حالاته بعدما نام نوماً عميقاً لم يعكره شيء . وبدت لورا أمام الرجلين المليئين عافية نموذجاً عن الوهن والشحوب . وبرغم ذلك لم يذكر أي من الرجلين شيئاً عن حالتها بل انصرفا الى مناقشة مسألة اختيار الطريق البرّي الأنسب للتوجه الى المنزل بعد رسوّ المركب . تجمّع المسافرون في صالون الباخرة يهتمون باستلام سياراتهم المشحونة ، اما رالف فلم يأبه للأمر بل وقف يتأمل البحر وذراعه تطوق كتفي لورا منشغلاً بالتحدث الى جدّها . ولم يتحرك نحو السيارة الا عند نزول أول الركاب الى رصيف المرفأ . كانت الرولز رويس آخر السيارات المفرغة من المركب . وصعد ركابها الثلاثة ، بعد مرورهم بسلطات الأمن العام ، كل الى مقعده متجهين نحو هيلفرسوم .

- ستكون رحلة مملة يا لورا ولكن الطريق واسعة ومختصرة . سنوصل جدّك أولاً فهو يقطن بالقرب من منزلنا ، (رمقها بنظرة سريعة وأضاف) ، سنتوقف لتناول بعض القهوة عند بلوغنا روتردام فأنت ولا شك تحسين بفراغ في المعدة .

وافقت لورا على ملاحظته باسمة :

- انا اتضوّر جوعاً ولكنني قادرة على الصمود اذا كان جدّي على عجلة من أمره .

- لا ضير من التوقف قليلاً يا عزيزتي فالمسافة الى المنزل تبلغ حوالى الستين ميلاً ، ومحطتنا في روتردام لن تستغرق سوى دقائق .

بعد قليل أوقف رالف السيارة قرب مطعم صغير يقع الى جانب الطريق . وترجل الثلاثة لتناول القهوة الساخنة مع الحليب الطازج ، ولورا لم تكتفِ بفنجان واحد بل شربت اثنين مع قطع من الكعك الشهي . ولما عادوا الى السيارة كانت تشعر بتحسن كبير وبدء زوال آثار الرحلة البحرية عنها . والدليل على ذلك انها استطاعت فهم شروحات جدها المسهبة عن المناطق التي مروا فيها تباعاً . قد يكون رالف على حق في حكمه على الطريق المضجرة لكن المناطق المحيطة بها خضراء واسعة تنتشر فيها المدن والقرى ، ومنها مدينة اوترشت الكبيرة التي انعطف بعدها رالف بالسيارة في طريق فرعية باتجاه بارن . وهناك وجدت لورا الريف أجمل والغابات أكثر كثافة تتخللها فسحات واسعة بنيت فيها قصور وفيلات فخمة .

وخلال هذا الوقت لم تضع لورا لحظة سدى بل سجلت عيناها كل المعالم وتمتعت بكل منظر جميل ، وعندما نبّهها جدّها الى قرب مرورهم بجانب القصر الملكي توسّلت الى رالف حتى يتمهل قليلاً .

نفّذ رالف مطلبها ضاحكاً وموضحاً أن منزلها مجاور للقصر الذي ستسأم من رؤيته في المستقبل . شعرت لورا بشيء من الاثارة والرهبة لما علمت أنها أوشكت أن تصل الى منزل الزوجية ، وهي لم تجرؤ على السؤال عن شكل المنزل . وأخذت المخاوف تتتابع : هل

يكون المنزل قبيحاً ؟ هل يكون واقعاً في منطقة موحشة ؟ هل تتفق مع مدبرة المنزل التي يبدو أن رالف متعلق بها ؟ ماذا عن أصدقائه وأفراد عائلته ؟ أسئلة محيّرة زادتها قلقاً عن عالم تدخله من باب واسع وتجهل ما يقبع وراء هذا الباب . . .

وضع رالف حدّاً لتساؤلاتها بصوته العريض :

- ها هو القصر الملكي .

تمهّل السائق اللبق قليلا ليتيح لزوجته رؤية القصر ثم ضغط من جديد على دواسة البنزين وانطلقت السيارة الجبارة تبتلع الأميال بشراهة . وعند بلوغه المفترق انعطف الى اليسار في شارع محاط بالأشجار الباسقة خلفها بيوت انيقة ، أمام كل منها حديقة جميلة وموقف للسيارات . وفي منتصف الشارع عاد الى الانعطاف يميناً في طريق خاصة وولج بوابة بيضاء لفيلا كبيرة عليها لافتة تقول : منزل الدكتور فان دورن دوبيت .

وعلى الفور تقدمت من السيارة امرأة عجوز حيّاها رالف وجدها بحرارة ، ثم أوضح رالف للورا :

- هذه مارجا مدبرة منزل جدك . امرأة حديدية تدير المنزل بعقلية الآمر الناهي بمباركة من جدك . لقد دعتنا الى الدخول لكني اعتذرت ، فانتظري هنا ريثما انزل اغراض الدكتور فان دوبيت .

ودّعت لورا جدها واعدة برؤيته في القريب العاجل وانتظرت انتهاء رالف من ادخال الحقائب وتوديع الطبيب العجوز .

- لقد نصحت جدك بالذهاب فوراً الى السرير لأن الرحلة أرهقته وهو محتاج الآن الى أخذ قسط من الراحة .

سألت لورا بقلق :

- أهو مريض؟

- لا . ولكنك تعلمين انه تعرّض لأزمات قلبية في السابق ، وعلى من تخطى السبعين الاهتمام بنفسه كثيراً ، (ابتسم رالف وتابع) ، لا أحب أن يتعرض مرضاي لأي خطر ففي ذلك اقلاق لضميري

المهني .

ـ أتعني انك طبيب لطبيب ؟

ـ ولم لا ؟

عادت السيارة الى الطريق العام المحفوف بالأشجار الخضراء الظليلة ، ووراءها أحراج كثة شبه عذراء . أعجبت لورا كثيراً بهذه المنطقة وسألت :

ـ أين أصبحنا الآن ؟

ـ بين بارن وهيلفرسوم .

خفف رالف من سرعة السيارة ودخل بوابة واسعة عموداها من حجر القرميد ، فجفلت لورا واستوضحت :

ـ هل وصلنا ؟

ـ لا داعي لكل هذا القلق وكأنك تلميذ كسول في امتحان آخر السنة !

دخلت السيارة الى حديقة كبيرة مليئة بالشجيرات والورود ووراء منعطف صغير ظهر المنزل .

جحظت عينا لورا من الدهشة وصاحت :

ـ يا الهي !

ضغط رالف على المكابح بقوة وقال :

ـ ما الأمر ؟ الا يعجبك المنزل ؟

ـ ماذا تقول ؟ انه رائع . . . لم تستطع مخيلتي تصور شكل المنزل وأنت لم تلمح لي عنه . . . ان جماله رهيب فعلاً .

ـ لا تبالغي يا لورا فالبناء قديم وبحاجة الى ترميم من جهته الخلفية . صحيح انه واسع قليلاً ولكنه لم يسبب الرهبة والخوف لأحد قبلك .

اتبع رالف قوله بضحكة هازئة ففسرت لورا :

ـ ان فكرة العيش في هذا القصر ترعبني ، فأنا غير معتادة على هذا الترف . لماذا لم تخبرني ؟

اجاب رالف ببراءة :

ـ لم تخطر لي هذه الفكرة .

شعرت لورا انه تعمد عدم اخبارها بشيء عن جمال بيته على خلاف ما كان يخطط لجويس . فلا ريب انه كان ينوي وصف كل زاوية وكل حجر من عشها الزوجي لولا أن جويس ادارت له ظهرها ومشت .

ـ أيعود البناء الى القرن الثامن عشر ؟

ـ تقديرك جيد يا عزيزتي . تم بناء المنزل في النصف الأول من القرن الثامن عشر . ففي ذلك الزمان درجت العادة على بناء بيوت فخمة في المناطق الريفية القريبة نسبياً من العاصمة امستردام ، وبيتنا لا يشذ عن هذه القاعدة .

أوقف رالف السيارة في الباحة العريضة أمام الباب العظيم ، وبينما همّ بالنزول ألقت لورا نظرة جديدة على المنزل . وتوقفت عيناها طويلاً عند الدرج الحجري والشرفة الواسعة التي تغطي ساحة الطابق الأرضي الواسعة ، نوافذ الواجهة تعكس بزجاجها البراق أشعة الشمس . اما النوافذ في الجهة الخلفية فكانت منتشرة كيفما اتفق ، وهذا الجزء بحاجة الى اعادة تخطيط كما قال رالف . وأجمل ما في البيت العشب الأخضر وأحواض الزهور التي تحوطه من جهاته كافة .

سرّت العروس كثيراً برؤية الزهور وقالت :

ـ لا بد أن لديك أكثر من بستاني هنا .

فوجىء رالف بملاحظتها وتردد قبل أن يقول :

ـ اعتقد أنهم ثلاثة .

ـ ألا تعرف العدد بالضبط ؟

ـ اخجل من نفسي احياناً لجهلي ما يدور في البيت ، فكثرة اسفاري ومشاغلي تجعلني كالزئبق الرجراج لا يقر لي قرار . لذلك اترك هذه المسائل لمانز .

- من هو هانز ؟

جاءها الجواب عندما فتح الباب وأطل رجل في الستين من عمره ، قصير وبدين ، أبيض الشعر وأزرق العينين . تقدم الرجل وانحنى محيياً رالف ومتبادلاً معه بعض العبارات المرحة . وبعد ذلك التفت رالف الى لورا موضحاً :

- ها هو هانز الذي تسألين عنه . لقد خدم والديّ منذ أن تزوجا ، وهو الآن يكمل مهمته معي ، وأنا واثق من أنه سيكون خير مساعد لك في ادارة شؤون المنزل . كما تجدر الاشارة الى اجادته الانكليزية .

تنفست لورا الصعداء عندما سمعت ذلك ومدّت يدها مصافحة :

- تشرّفت بلقائك يا هانز .

صافحها الرجل بحرارة مبتسماً ابتسامة أبوية مطمئنة . وأضاف رالف مفسراً ما قد يجول في خاطر عروسه :

- واذا تساءلت لماذا لم ينصرف هانز الى خدمة والدي في منزله أعلمك أن ابنه يتولى هذا المنصب .

في هذا الوقت أدخلها رالف الى المنزل تاركاً هانز يجلب الحقائب ويقفل الباب . وجدت لورا نفسها في قاعة مربّعة فيها أبواب الى جانبيها ، وسلم يفضي الى الطابق العلوي ، وفي طرفها الآخر باب يؤدي الى الجهة الخلفية للمنزل . وتأملت سيدة المنزل الجديدة أناقة القاعة ذات الجدران المبنية من الخشب الغليظ المطلي بالأبيض ، وذات الشمعدانات الذهبية التي تبعث نوراً بهياً . كما وضعت طاولة متوسطة الحجم يحيط بها كرسيان واسعان ، وفوقها ساعة حائط كبيرة في اطار من الخشب النفيس . لم يتح رالف للورا تفحص هذه الكنوز الصغيرة طويلاً اذ فتح أحد الأبواب وأدخلها الى غرفة سقفها مرتفع فيها نافذتان تغطيهما ستائر مخملية ناعمة ، ومفروشة بسجادة عجمية مزركشة يتناسب لونها مع المقاعد الموزعة في زواياها ومع القشرة

الفضية التي تغطي خشب الجدران ، وتلك الذهبية التي تغلف الطاولة الموضوعة قرب الجدار المواجه بدوره لمدفأة كبيرة رخامية . كما في الغرفة طاولات أخرى صغيرة وخزانة حائط مصنوعة من خشب مشغول على يد فنّان ماهر .

وقفت لورا في وسط الغرفة مشدوهة وعقلها يعمل على استيعاب فكرة صيرورة هذا المكان منزلها . فنظرت الى رالف والقلق في عينيها ، واذا بزوجها الذي يقرأ أفكارها يقول :

- أتمنى أن تحبي هذا المكان كما احبه . سنتناول القهوة الآن وبعض الطعام في غرفة الجلوس المجاورة ، فهذه الغرفة مخصصة لاستقبال الضيوف .

قادها الرجل عبر باب قرب المدفأة الى غرفة أصغر مفروشة بأثاث مريح يوحي بالدفء ، ومطلة على أحواض العشب الأخضر . وفي وسط الغرفة وضعت طاولة مغطاة بشرشف أبيض وحولها كرسيان .

استقبل العروسان في هذه الغرفة الكلب لاكي الذي خرج من سلته سليماً بعد أن فك له الجص واندملت جروحه . وما لبث أن تبعه كلب صيد عجوز هو ماكس الذي تحدث عنه رالف . ربّت الرجل على رأس الكلب الهرم قائلاً :

- ماكس يحب الخبز الأسمر كثيراً . والكلبان يعيشان في وفاق تام .

عندها بانت امرأة في أواخر العقد الخامس من عمرها ، قصيرة ونحيلة ، دخلت الغرفة وفي يدها طبق عليه ابريق قهوة وفنجانان . تمتمت المرأة شيئاً بالهولندية فأجابها رالف ضاحكاً ، ثم قال لزوجته :

- هذه هانا زوجة هانز . انها تعمل هنا وخاصة في المطبخ . وأظن انه عليك تعلّم الهولندية سريعاً لتتفاهمي معها بسبب جهلها التام للانكليزية .

استعملت لورا لغة الابتسام لتحية المرأة فالنطق بأي كلمة لن

يهدي نفعاً . وردّت الهولندية التحية قبل أن تعود الى مخاطبة رالف الذي تولى مهمة الترجمة :

ـ هانا واثقة من انك ستكونين زوجة رائعة وربّة منزل قديرة ، وهي مسرورة للعمل تحت امرتك ومستعدة لتعريفك على بقية أرجاء المنزل حالما تشائين .

سرّت لورا بأخلاق هذه المرأة الحميدة وتوجهت اليها شاكرة عبر المترجم رالف :

ـ قل لها اني اعتز بصداقتها وبوجودها في هذا البيت ، واني اقدر كرم اخلاقها ومحاولتها جعلي أحسّ نفسي في بيتي ، فأنا ما زلت أشعر بشيء من الغربة ووجودها سيخفف من وطأة هذا الشعور .

ـ لا تنسي انك زوجتي .

جاء تعليق رالف جافاً فخشيت لورا أن تكون تسببت له باهانة بذكرها كلمة غربة . وتساءلت عما يدور في خلد زوجها . أيمكن ان يكون ما زال يفكر بجويس وبالفراشة الرائعة التي أفلتت من شبكته ؟ ولا شعورياً أخذت العروس تداعب رأس ماك ، الذي يعلوه شعر كثيف أشعرها بالدفء والراحة ولم تجرؤ على النظر الى زوجها . وأوجست خيفة من اللحظات الكثيرة الصعبة التي عليها مواجهتها بحزم وشجاعة في حياتها مع من تزوّجها لغايات عملية بحتة . . .

غادرت هانا فطلب رالف من لورا أن تصب القهوة ، ففعلت وواجهته بوجه هادىء عاقدة العزم على عدم الارتباك أمامه مرة أخرى . لم تغب الثرثرة عن جلسة الزوجين الى مائدة الغداء الذي أنهياه باكراً ، اذ أعلن رالف :

ـ اسمحي لي بالانسحاب الآن فلدي أعمال كثيرة أنجزها وأخشى ألا انتهي منها قبل المساء . لذلك سأوعز الى هانا بتعريفك على البيت ، كما باستطاعتك الطلب الى هانز أن يحضر لك الشاي متى ترغبين . وأظن أن الوقت سيمر بسرعة وأنت ترتبين الثياب في

الخزائن . أما بالنسبة الى العشاء فأنا أتناول طعامي عادة في السابعة والنصف الا اذا كان هذا الموعد لا يناسبك .

حارت لورا في فهم مقصده كونه بدا يخاطب موظفة لديه لا زوجة . وحاولت أن تعذره لعدم اعتياده على الحياة الزوجية بعد فترة طويلة من الوحدة . وبنبرة حماسة قالت :

ـ لا اظن أن ثمة حاجة لتغيير أي شيء ، وفي أي حال لن أقدم على خطوة بهذه الأهمية قبل الحصول على مشورتك ومشورة هانا ، (ابتسمت وزادت) ، من المؤسف أنك مضطر الى الغوص في ادغال العمل مباشرة ، وان كنت استبعد معارضتك ذلك . أراك في المساء اذن .

رمقها رالف بنظرة ماكرة تنمّ عن علمه بتذمرها من رحيله ، واكتفى بالقول :

ـ سأرسل هانز اليك .

وحسناً فعل ، اذ برهن هانز عن ذكاء وحسن تصرف ، فقد أعدّ للورا برنامجاً يملأ فترة بعض الظهر كلها . اذ عليها التوجه أولاً الى غرفتها لتضع الملابس في الخزانة ، ثم تأخذ ساعة أو أكثر لتنال قسطاً من الراحة ، وبعد ذلك تحضر هانا في حوالى الثالثة لتصحبها في جولة تفقدية في انحاء المنزل ، مع الاشارة الى استعداد هانز للعب دور المترجم في هذه الجولة حتى يجيب على أي استيضاح محتمل من ربة المنزل . ابتسمت لورا للرجل بعد فراغه من شرح برنامجه وقالت :

ـ لك الشكر يا هانز . سأتوجه الآن الى غرفتي بانتظار حضور هانا في الثالثة .

تبعت لورا هانا على السلم المغطى بسجاد سميك ، وبعده في رواق طويل حتى باب غرفتها . غرفة واسعة ومطلة على الحديقة وبوابة المنزل الرئيسية . وفي وسطها سرير واسع مغطى بشراشف زهرية بلون الستائر . كما انتصب الى يمين السرير خزانة عالية من خشب الأبنوس الفاخر . أما الى يساره فوضعت طاولة التزيين أمام

مرآة واسعة ، ويقربها مقعد وثير قماشه من الحرير الخالص . وأخيراً وليس آخراً وضعت طاولة على كل من جانبي السرير ، وعلى كل منها تحفة صينية نادرة تبينّ للورا انها مصباحان كهربائيان . جمدت المرأة في مكانها كسائح مأخوذ بجمالٍ ما ترى عيناه وعلّقت :

ـ يا الله ! لم أرَ لهذه الغرفة مثيلاً في حياتي .

فماذا يطلب المرء اكثر من هذا الديكور الرائع الكامل ليرتاح وينعم بالرفاهية ؟ ولا شك أن مصمم ديكور هذه الغرفة ذوّاقة من الطراز الأول نظراً لحسن اختياره ألوان الستائر، وورق الجدران والسجادة . فكل شيء متناسق متناغم يشكل سمفونية ألوان عذبة تسبح فيها المخيلة وتعبّ من منهلها العين العطشى الى الشكل الخلاب . وبالطبع لم تفهم هانا شيئاً مما قالته سيدتها فتمتمت كلمات بالهولندية وفتحت باب الحمام الخاص بالغرفة . ظنّت لورا أول الأمر أن باب مغارة علي بابا قد فتح لأن الباب مشقوق في الجدار بدقة تجعل أمر رؤيته صعباً . وفي الداخل رأت طغيان اللون الزهري في حمام مجهزٍ تجهيزاً عصرياً وفخماً ، وعلى الرفوف اصطفت مختلف أدوات التجميل وأنواع الصابون والعطور التي لا يمكن لامرأة أن تحلم بها . وعادت صورة جويس الى رأس لورا التي قالت في نفسها أن رالف حضّر كل هذا لشقيقتها وبدلاً من أن يشاهد هانز وهانا عروس سيدهما الساحرة ، استقبلا امرأة عادية تصلح زوجة لأي رجل عادي يسكن معها في منزل متواضع يليق بتواضع مظهرها . هذا مع العلم أنها لم تلاحظ على الهولندي أو زوجته حتى الآن ما يشير الى ذلك . فلم تغب البسمة مثلاً عن هانا طيلة وجودها في الغرفة ، الأمر الذي يدل على اعجاب وتقدير فعليين للسيدة فان ميروم ، أو على موهبة خارقة في التمثيل والتظاهر بعكس ما يضمره القلب . استسلمت لورا للمياه الساخنة بعد انصراف هانا ومكثت وقتاً طويلاً تتمتع بالتسهيلات التي لم تحصل عليها يوماً في منزل ذويها . وبعد الحمام قاومت رغبة في النوم وجلست أمام المرآة تتبرّج ، مطلقة هذه المرة

العنان لضفائرها في الانسدال بحرية حتى أسفل ظهرها . ثم ارتدت احد الفساتين الجديدة وعقدت حول عنقها منديلاً حريرياً أبيض . وما كادت تنتهي من الاعتناء بنفسها حتى سمعت طرقاً خفيفاً على الباب تبعه دخول هانا على رؤوس اصابعها . ثم تكلم هانز من الخارج :

ـ جئنا لنرى استعداد السيدة لزيارة بقية أرجاء المنزل .

مشت السيدة فان ميروم الى جانب الزوجين الهولنديين ، وهي تشعر باستغراب كونهما يقومان بمهمة تخصّ الزوج أصلاً . وقد يكون تخلّى عنها لبديليه لأن لورا بدورها بديلة لجويس . وتخيلتها متأبطة ذراع رالف تنتقل من غرفة الى اخرى لتنتقد أثاثها ، ومستعملة دلالها وغنجها لتقنعه بتغيير هذا المقعد ونزع تلك اللوحة . . . ولكن لماذا تسمح لورا الصورة شقيقتها بأن تصبح هاجساً يفسد حياتها ويلاحقها أينما ذهبت ومهما فعلت ؟ لماذا تقضي بذلك على قبس أمل بالسعادة مع رجل قلبها وحلم عمرها ؟

تعرّفت لورا أولاً الى غرف الطابق الأرضي : قاعة استقبال الضيوف ، غرفة الجلوس ، غرفة الطعام الواسعة بطاولتها الكبيرة وكراسيها الكثيرة . وأوضح هانز بفخر أن المائدة تتسع لعشرين شخصاً وان تقاليد تقديم الطعام ما زالت متبعة حرفياً منذ مئة وخمسين سنة ونيف . بعد ذلك دخل الثلاثة مكتبة الطبيب حيث مكتبه ورفوف المجلدات الضخمة تضم في طياتها العلم والمعرفة الطبية الواسعة . وفي المكتبة مدفأة صغيرة وبعض المقاعد الجلدية . ومن المكتبة بلغوا صالوناً مستديراً يستعمل كثيراً كما يبدو من المجلات الموضوعة على الطاولة في وسطه الى جانب مزهرية مليئة بالورود الحمراء .

أوضح هانز وجهة استعمال هذه الغرفة :

ـ هذا الصالون يستعمل للاستراحة ، ووالدة الدكتور رالف ، رحمها الله ، كانت تمضي معظم أوقات فراغها هنا .

انها مشكلة جديدة بالنسبة للورا . فهل يرغب رالف بأن تستعمل غرفة والدته المفضلة أم يفضل بقاءها بعيدة عنها ؟ اقترح الهولندي هو في طريقه الى الطابق العلوي :

- فلنترك المطبخ لنهاية الجولة .

المحطة التالية كانت غرفة رالف البسيطة ، التي يغلب عليها اللون البني . وشعرت لورا في هذه المحطة أنها متطفلة تتدخل بما لا يعنيها ، لذلك اختصرت زيارتها سريعاً . ثم زارت أربع غرف نوم ، احداها واسعة كغرفتها ، وجميعها مفروشة بذوق رفيع . وبعد أن انتهوا من هذه الجهة انتقلوا الى الجهة الخلفية حيث التصميم عشوائي قليلاً ، اذ انتشرت الغرف الكثيرة بفوضى يميناً وشمالاً حتى نسيت لورا عددها . ونظراً لوفرة الغرف سألت :

- كيف تستطيعان القيام بكل الأعباء ؟

فهمت هانا ملاحظة لورا وهزّت رأسها بينما أجاب هانز :

- هذه الغرف تبقى مقفلة فلا تستعمل الا في المناسبات الخاصة عندما تجتمع العائلة كلها . كما أننا لا نعدم وسيلة عند تكاثر العمل فنستأجر مثلاً خدّاماً اضافيين للمساعدة .

لا ريب في أن رالف يملك أموالاً طائلة ليعيش في قصر كهذا ، ومن الطبيعي أن يطلعها على هذه التفاصيل عندما يهدأ باله وتزول آثار صدمته ، فهي بالنتيجة زوجته ولها الحق بمعرفة كل شيء . لكن المقلق انها بدأت ترى مشاكل جديدة لم تحسب لها حساباً تتجمع في أفق حياتها الزوجية .

عرّفها هانز وزوجته الى جناح مخصص للأطفال وفيه ثلاث غرف نوم وأخرى للمربية . وهذه الأخيرة ما هي الا مربية رالف العجوز التي لا عمل لها بانتظار مجيء أطفال جدد الى المنزل ، وهي غائبة الآن في زيارة الى اسكوتلندا . فهمت لورا من خلال ابتسامة الهولنديين أن وجودها ايذان بقرب تأمين نزلاء لغرف الأطفال الشاغرة . والمنزل يحتاج لنفحة حياة لا يشعلها الا الأطفال بحركتهم

وضجيجهم . احمرّت لورا خجلاً لهذه الفكرة وخوفاً من الا تكون الأم التي طالما انتظرها آل فان ميروم .

في الطابق الأخير مزيد من غرف النوم وغرفة جلوس مريحة . وأوضح هانز ان الخادمتين آني والسا تنامان في هذا الطابق . كما قال :

- هناك عدة مخازن للمؤن والأغراض هنا . اذا لم تكوني تعبة باستطاعتنا الانتقال لرؤية الغرفة الزجاجية في الطابق الأرضي .

غرفة فسيحة مقفلة بألواح من الزجاج تسمح لأشعة الشمس باختراقها من الجهات الثلاث ، وضعت فيها أنواع مختلفة من الشتل والزهور . وتوسطتها طاولة وكراس بيضاء تضيف بلونها بهجة الى بهجة . وفي خارجها مساحات من الأخضر عشباً والألوان الزاهية زهوراً وشجيرات . وأحست لورا بالانزعاج لأن رالف لم يكلف نفسه مشقة التلميح الى هذا الاطار الرائع الذي لم يكن ليتوانى عن وصفه بالتفصيل لجويس ، والذي يكره فكرة حصول لورا عليه وهي التي لا تستأهله .

أكمل الدليل هانز شرحه :

- هناك حوض للسباحة في تلك الجهة ، وكذلك مرآب للسيارات . وفي طرف الحديقة منزل صيفي صغير للذي ينشد الراحة والانفراد . هل أعجبك المكان يا سيدتي ؟

اجابت العروس بحماس :

- لا ارى الكلمات المناسبة للتعبير عن الاعجاب !

- اقترح تأجيل زيارة المطبخ ، فما رأيك بالجلوس خارجاً قرب ساقية الماء لأحضر لك الشاي الانكليزي ؟

قبلت لورا بالفكرة وجلست تحتسي الشاي لما أتى هانز بزائر شاب ، متوسط القامة أشقر الشعر أزرق العينين .

انحنى الزائر احتراماً في حين قدمه هانز:

- الدكتور فان نيهوف شريك الدكتور رالف ، سأحضر فنجاناً آخر

للضيف.

وقفت لورا وصافحت الشاب قائلة:

- لي الشرف بالتعرف الى من حدثني عنه رالف خيراً، ولكني لم اتوقع مقابلتك بهذه السرعة.

- كنت في طريقي من امستردام الى البيت يا سيدتي فخطر لي المرور لالقي التحية عليكما. واذا بي اجد رالف قد خرج الى العمل، ولا اعلم ماذا طرأ حتى اضطره الى معاودة العمل اليوم.

- لا اظن ان طارئاً حصل، فهو قال ان لديه الكثير من المشاغل للانجاز. ولكن شكراً على الزيارة فهذا يتيح لي تقاسم الشاي مع جليس صديق لزوجي.

جلس الضيف قرب لورا في حين اتى هانز بفنجان آخر، فصبت لورا الشاي وقدمت له بعضاً من الكعك الذي صنعته هانا. ووجدت لورا اخيراً في يان فان تيهوف مشروع صداقة وشخصاً تستطيع التحدث اليه بدون ان تعلم ما الذي جذبها نحو هذا الشاب الذي يصغرها بعام او عامين.

سألته بمرح:

- في جعبتي الكثير من الاسئلة اود ان اطرحها عليك: اين تسكن؟ هل تعمل في العيادة مع رالف؟ هل تعمل معه في المستشفى؟ هل انت متزوج؟ . . .

قاطعها الشاب بضحكة حلوة ونظر اليها ببعض استغراب لجهلها كل شيء عنه، باعتبار ان من واجب رالف الاجابة عن هذه الاسئلة المتعلقة بشريكه الدائم والذي يدخل في صلب حياته وبالتالي في صلب حياة زوجته. ومع ذلك اجاب:

- اقطن في بارن واشارك رالف عيادته مع الاشارة الى ان اغلبية الزبائن تقصده لأنه واسع الشهرة لا مغمور مثلي. واعترف اني محظوظ لأنه اختارني شريكاً، فالعمل مع رالف يكسبني خبرة ومعرفة، وهذه الفرصة لا تتاح لاي كان ويتمناها كل طبيب جديد

طري العود، اضاف الشاب باحترام، رالف طبيب لامع وانسان طيب، اما بالنسبة لسؤالك الأخير فأنا غير متزوج، مع اني ارغب بذلك. . .

توقف يان فجأة عن الكلام وكأنه شعر بالخجل فقالت لورا بلطف:

- ربما اخبرتني بقصتك عندما تتوثق صداقتنا اكثر.

- عندما اطلعك على الامر ستكونين الوحيدة التي تعرف بالقصة، فحتى رالف يجهلها لاني لا اريد ازعاجه بمشاكلي.

- انا بئر عميقة وبمقدورك اطلاعي على السر باطمئنان. والآن صب المزيد من الشاي وقل لي كيف العثور على من يعلمني لغتكم.

اقترح الشاب بتردد:

- لا بد ان رالف يعرف احداً صالحاً لهذه المهمة أنا مسرور جداً لأن رالف قرر اخيراً الحصول على شريكة لحياته. انه رجل رائع واسمح لنفسي بالقول انك تناسبينه تماماً.

- شكراً لك يا يان. وعلى فكرة لماذا لا تدعوني لورا؟ فالالقاب تشعرني اني عجوز درديس.

ضحك الاثنان طويلاً في اللحظة التي خرج فيها اليهما رالف فلم تره لورا الا وقد اصبح قربها.

- آه، رالف! جئت في الوقت المناسب لتناول الشاي معي ومع يان الذي مر لرؤيتك وقبل بالبقاء لتسليتي.

رمقها الرجل بنظرة لم تستطع التقاط معانيها وقال:

- لا ضرورة لاحضار فنجان جديد فقد تناولت القهوة في المستشفى قبل مجيئي، تناول رالف كعكة وجلس متوجهاً الى يان، ما اخبارك يا صديقي؟

كانت نبرته ودودة لكن القساوة لم تغب من عينيه مخفية ما يقلقه، فشرعت لورا تفتش عبثاً عن مصدر القلق واكتفت لاقناع نفسها بالقول انها حساسة اكثر من اللازم وتختلق اموراً لا وجود لها.

بقي رالف يتحدث الى يان عن اخبار العطلة عشر دقائق اقترح عليه بعدها الانسحاب الى المكتبة لمناقشة حالة احد المرضى، فاعتذر من لورا قائلاً:

ـ لن اتأخر عليك يا عزيزتي.

عبارة عادية مرضية تتوقعها كل زوجة في مثل هذا الموقف، فلماذا القلق والخوف واختلاق الوساوس؟ نظرت لورا الى الرجلين يبتعدان وهي تفكر بيان الودود اللطيف، لكن هذا اقل ما يمكن اظهاره تجاه زوجة شريكه ومعلمه لو صح التعبير. وعلى هذه الافكار اقفلت عينيها تتمتع بمداعبة اشعة الشمس وغفت. افاقت لورا بعد ساعة لترى ان لا اثر لطبق الشاي او للكلبين. فقالت ان رالف لم يرد ازعاجها وعاد الى المنزل. ولكنها لم تره عندما دخلت فراحت تبحث عن هانز الذي ابلغها لما وجدته ان الطبيب ما يزال في المكتبة وان الدكتور يان غادر منذ نصف ساعة.

ـ لم لا تدخلين اليه يا سيدتي؟

ـ لا اريد ازعاجه في عمله يا هانز.

جواب فاجأ الهولندي لأن رجلاً متزوجاً حديثاً لا يجب ان يزعجه دخول عروسه عليه في اي وقت من الأوقات. توجهت لورا الى غرفتها لتشغل نفسها في الساعة المتبقية لحلول موعد العشاء. فبدلت ثيابها وصففت شعرها المتروك حراً بتسريحة آسرة جديدة. وتعمدت التباطؤ في عملها حتى مر الوقت ونزلت الى الطابق السفلي فلم تجد احداً في قاعة الضيوف، وغرقت في احد مقاعد غرفة الجلوس قرب النافذة تتصفح مجلة هولندية لم تفهم منها سوى الصور. وارتعدت فرائصها الى درجة انها اوقعت المجلة عندما سمعت صوت رالف الهادىء:

ـ اخيراً وجدتك.

ـ لم ادر اين اذهب. . .

ـ اذهبي حيث تشائين يا لورا. انا ابقى عادة للعمل في المكتبة قبل

العشاء وبعده، وابقى احياناً ساهراً حتى وقت متأخر فعليك الاعتياد على ملء وقتك بطريقة مفيدة. ارى انك غيرت تسريحة شعرك.

تجاهلت لورا الملاحظة الأخيرة واكدت بحبور:

ـ لا تقلق بشأني وانصرف الى عملك بحرية. على فكرة، في اي ساعة نتناول طعام الفطور؟

ـ في السابعة والنصف. ولكن لا تزعجي نفسك بالنهوض باكراً، فبامكاننا الايعاز الى الخادمة باحضار الطعام الى غرفتك كما تستطيعين تناول الطعام هنا في الوقت الذي يناسبك. شعرت المرأة انها تعامل كضيف ثقيل غير مرغوب فيه مع حفاظ المضيف على حد ادنى من اللياقة. فقالت بفظاظة:

ـ موعد الفطور يناسبني تماماً فلا تحاول ابعادي لاني لن ازعجك بالثرثرة في الصباح.

دهش رالف لشراستها واوضح ضاحكاً:

ـ اعتذر لما بدر مني من غير قصد، فالأمر يعود الى عدم اعتيادي على الحياة الزوجية بعد سنوات الوحدة.

ـ افهم تماماً ماذا تعني وخاصة انني لا اختلف عنك كثيراً من هذه الناحية. لقد اتفقنا سابقاً على عدم تدخل واحدنا في شؤون الآخر وعاداته، فلا ارى موجباً لنقض هذا الاتفاق الآن. لذلك ما عليك عند تطفلي، سوى اعلامي بهفوتي لأزيح من الطريق.

اقترب رالف منها مخاطباً بعذوبة:

ـ انت امرأة ناضجة ومتفهمة يا عزيزتي. امنحيني بعض الوقت لاستطيع التكيف مع النمط الجديد. واعدك بان اصارحك بما يضايقني بشرط ان تفعلي الشيء نفسه. والآن هلا تناولنا العشاء.

شدها من مقعدها ولف خصرها بذراعه بقوة ورجولة جعلتا دقات قلبها تسرع، وسأل:

ـ ما رأيك بالمنزل؟

حين اوت الى فراشها راجعت لورا في ذهنها مجريات الأمسية

الأولى راضية عن نجاحها المقبول. فقد تناولا عشاء لذيذاً تحدث رالف خلاله عن عمله في المستشفى دون ان يأتي على ذكر عمله في العيادة. وبعد ذلك اتصل بوالده واتفق واياه على توجهه وعروسه لزيارته في مساء اليوم التالي. واخيراً عانقها متمنياً لها ليلة هانئة واتجه الى المكتبة ليهتم بعمله.

وهكذا اقتنعت لورا بحصيلة اليوم المنصرم واغمضت عينيها على صورة رالف مطبوعة في فكرها وقلبها.

٧ - نفحة من الأمل

كان رالف جالساً الى المائدة وغارقاً في جريدته لما نزلت لورا في الصباح لتناول فطورها. ووجود الجريدة يعني انعدام الكلام في هذه الجلسة الصباحية، لذا حيته وجلست ازاءه تتصفح الجرائد الانكليزية الموضوعة الى جانبها كأشارة لوجوب التزام الصمت وعدم رغبة الرجل بالتحدث. صبت لورا بعض القهوة فيها رالف يأخذ استراحة قصيرة ليطمئن الى تمضيتها ليلة هادئة قبل غرقه في قراءة بريده اليومي. وشكت لورا في سماعه الشكر الذي وجهته له فكأن واجبه انحصر في السؤال دونما حاجة الى الاصغاء لردها. ولم يتكلم الرجل الا عندما اكمل شرب قهوته ونهض، فأبلغها:

- سأعود في حوالى السادسة مساء. اتمنى لك نهاراً ممتعاً.

انتظرت لورا خروجه حتى سألت نفسها بصوت مرتفع:

- وماذا سأفعل طوال هذا النهار الممتع؟

ثم تذكرت انه طلب منها الصبر فأذعنت لعدم اكتراثه على امل ان تنتهي من هذه المعاناة قريباً. وللحقيقة لم يكن نهاراً فارغاً، فتفقدت المطبخ الواسع المجهز تجهيزاً عصرياً كاملاً، واعجبت بالغرفتين الملحقتين به: الأولى لغسل الصحون والثانية لغسل الثياب. كما تعرفت الى الخادمتين السا وآني، وهما صبيتان طويلتا القامة تضجان صحة وعافية. حيّت الخادمتان سيدتهما بعرض جريء لاسنانهما البيضاء الناصعة كونها اللغة الوحيدة التي يستطيعان التفاهم بواسطتها مع السيدة الانكليزية. ثم قابلت لورا البستاني العجوز الذي لوحت وجهه اشعة الشمس وجعدته السنون الطويلة. بعد ذلك جلست في الغرفة الزجاجية تحتسي القهوة وتقرأ كتاباً عن فن الطبخ وادارة البيت، علماً ان لا فائدة لذلك بوجود جهاز الخدم الكبير في المنزل.

واخذت المرأة تفكر في كمية المال الذي ينفق في هذه الدار واجرت مقارنة بين المبلغ التقديري الذي توصلت اليه وما كان ينفق في منزل ذويها. ونتيجة المقارنة اتت بالطبع مذهلة. بعد غداء موحش مارست لورا ساعة من السباحة في مياه الحوض الدافئة. ثم انسحبت الى غرفتها وارتدت ثيابها لتناول الشاي بانتظار وصول رالف. وقد اختارت لورا، للقاء والد زوجها في العشية، ثياباً انيقة وحذاء جلدياً ثميناً لم تكن تحلم بأن تضعه في قدميها الصغيرتين من قبل. لكن كل هذا الاعتناء لم يؤثر في رالف الذي وصل في الوقت المحدد واكتفى بالقول:

- مرحبا. سأصعد لابدل ملابسي وأعود بسرعة

وما هي الا دقائق حتى عاد مرتدياً بدلة رمادية جميلة تتناسب مع ربطة عنق حريرية رائعة. واقترح رالف الانطلاق على الفور دون ان يلتفت الى لورا أو الى ثيابها. صعد الزوجان في السيارة الصغيرة لان

الرولز رويس مخصصة للمناسبات المهمة، وعبرا هيلفرسوم باتجاه لونتين حيث يقطن والد رالف. وبقي الرجل صامتاً الى ان قال اخيراً قبل وصولها بقليل:

- يبدو ان لا شيء لديك تقولينه.

- لدي اشياء كثيرة اقولها بشرط ان اجد مستمعاً. ففي البيت مثلاً خيل لي انك لا ترغب بسماع صوتي، ولو اردت العكس لابلغتني ذلك.

- يا عزيزتي لا ضرورة لطلب اذن خاص حتى تتكلمي! فأنت حرة في قول ما تشائين عندما يحلو لك.

- لماذا تتراجع عن مواقفك؟ لقد افهمتني سابقاً انك لست مستعداً لتغيير نمط حياتك وعاداتك.

حدقت لورا في المناظر الجميلة في الخارج واضافت دون الالتفات اليه: انا لا اقصد جرحك بل احاول توضيح موقفي.

جاءت نبرته هذه المرة ناعمة:

- وضوحك تام الى درجة انك تجيدين لعب دور الزوجة بمثالية واتقان.

سرى كلامه في جسدها سريان السم الزعاف فلجمت لسانها حتى لا يتطور الأمر وصمتت طويلاً، حتى قالت اخيراً:

- المنطقة جميلة جداً.

- فعلاً.

كانت السيارة تسير بمحاذاة بحيرة واسعة ترسو على ضفافها قوارب ويخوت مختلفة الاحجام، والى الجانب الآخر من الطريق انتشرت فيلات وقصور فخمة امامها حدائق رحبة، محاطة بأسوار عالية واخرى طبيعية من الاشجار الباسقة. قاد رالف السيارة عبر احدى بوابات هذه الفيلات واوقفها امام مدخل بناء جميل، يعلوه سطح قرميدي احمر وتتسلق جدرانه نباتات اللبلاب. قالت لورا وهي تهم بالخروج:

- بيت رائع!

لم تدع المرأة زوجها يصل الى باب السيارة ليفتحه فسبقته الى سلم المنزل، غير انه لحق بها وامسك بذراعها كي يبدوا زوجين منسجمين للناظر من بعيد. وهذا الناظر لم يكن سوى ابن هانز العامل في خدمة والد رالف. خيل للورا وهي تنظر الى الرجل انها ترى صورة لهانز في ايام شبابه، فالشبه بينهما كبير وحتى في الابتسامة وطريقة الانحناء، الا ان انكليزية هانز افضل من تلك اللهجة الطريفة التي تكلم بها ولده:

- انه لفخر لي ان تصبحي عضواً من عائلة فان ميروم يا سيدتي.

وقادهما الشاب في رواق معتم وبارد الى غرفة في مؤخرة المنزل، تطل على حديقة واسعة وتسمح واجهاتها الزجاجية لآخر خيوط الشمس بالدخول والقاء تحية دافئة. نهض شاغل الغرفة الوحيد لدى دخول الزوجين. ورأت لورا رجلاً فعل الشيب في رأسه فعله، طويل القامة عريض الصدر كرالف، داكن العينين... مع اختلاف اساسي عن ابنه: ابتسامته العريضة.

قال فان ميروم الاب:

- وأخيراً رالف ولورا، وضع يديه على كتفيها وقبل وجنتها ثم قال، انا سعيد يا ابنتي باستقبالك في عائلتي، ابعدها عنه قليلاً وتفحصها بهدوء وتدقيق مضيفاً، ها انني احظى بابنة جديدة بعد طول انتظار، وفرحي عظيم لأنني كوفئت على انتظاري. حسناً فعل رالف باصطحابك لزيارتي قبل ان يعرفك بافراد العائلة الاخرين.

امسك الطبيب المتقاعد يدها وقادها الى احدى الكنبات الواسعة قائلاً:

- العشاء لن يقدم قبل نصف ساعة، فأحضر لنا عصير الفواكه يا رالف بينما تحدثني لورا عن نفسها.

امضت لورا امسية باهرة النجاح في كنف والد رالف الطيب. وتساءلت لماذا لا يظهر زوجها من محبة وود شيئاً مما اظهره والده.

وهي تعلم ان نفسية فان ميروم الابن لا تناقض في جوهرها نفسية فان ميروم الأب، خصوصاً انه انسجم الى حد ما خلال السهرة وبادلها الضحك والمزاح. بيد انه عاد الى نصب السد بينهما عندما استقلا السيارة عائدين الى المنزل، فتجنب ان يطيل التعليق على مجريات السهرة رغم محاولاتها اليائسة لاستدراجه الى الكلام، علّه يلين شيئاً فشيئاً ويتوصل الى مفاتحتها بما في قلبه. وبعد ان فرغت جعبة لورا بقيت ساكتة حتى وصلا الى المنزل فتمنت له ليلة هادئة وصعدت الى غرفتها. وكان على الزوجين القيام بزيارة ثانية لوالد رالف ليتناولا العشاء الى مائدته بحضور سائر افراد العائلة. ونظراً لأهمية المناسبة قررت لورا ارتداء افضل اثوابها خصوصاً ان الساهرين قد يتسلون ببعض رقصات الفالس وما شابه... لكنها افاقت في اليوم التالي على شعور بالارهاق الجسدي، يزيده احساس بأن افراد عائلة زوجها لن ينظروا اليها بعين الرضى والاستحسان. فخشيت حلول موعد السهرة كأنها ساعة الموت. وما كادت المرأة تجلس الى الطاولة لتشارك زوجها فطوره حتى بادر الى اعلامها باضطراره الى الغياب ليومين لحضور مؤتمر طبي يعقد في مدينة ماتريشت.

وقال رالف مخففاً:

- اظن انه سبق وابلغتك باحتمال تغيبي عن المنزل بين الحين والآخر. وانا واثق من انك لن تضجري بوجود هانز الذي يستطيع مرافقتك الى اسواق دن هاغ او امستردام لشراء بعض الحاجيات، اضاف وكأنه تذكر امراً هاماً، الديك ما يكفي من المال؟

- نعم، شكراً.

الشيء الوحيد الذي لا ينقصها في هذا المنزل هو السيولة النقدية. فرالف رجل معطاء لا يبخل عليها ابداً، وهي تجد بين يديها مبالغ لم تكن تحلم بلمسها في السابق، الى درجة تجعلها لا تعلم ماذا تفعل بها كلها. لكن لورا تتخلى عن اموال الأرض جميعها مقابل لفتة

من رالف او لحظة اهتمام منه. فالغصة ما تزال في قلبها كونه لم يفكر بشراء هدية زواج لها، في حين انها اشترت زرين من ذهب لقمصانه الحريرية الفاخرة ولم تقدمها له اثر ادراكها مدى اهماله لمشاعرها. بعد ان جالت هذه الافكار في رأسها قالت:

ـ لا حاجة لازعاج هانز، فباستطاعتي ركوب الباص الى هيلفرسوم ثم الى بارن لاتعرف الى المدينتين جيداً.

ظهر الاستغراب في عيني رالف لما علق:

ـ لم يخطر لي يوماً استعمال الباص، فمن اين جاءتك هذه الفكرة؟ هانز سيحرسك في غيابي. الى اللقاء.

خرج الرجل والكلبان يقفزان حول قدميه مودعين، فنظرت لورا اليه حائرة لا تجد سبيلاً الى ادراك كنهه.

استطاعت الزوجة الوحيدة ملء يومها بشكل معقول. فكتبت بعض الرسائل لزميلاتها السابقات، استكشفت بارن وهيلفرسوم، اشترت بعض الحاجيات من اسواقهما، امضت ساعات طويلة في الحديقة تشغل نفسها بأعمال التطريز والحياكة. كما اصطحبت الكلبين في نزهات طويلة، وصرفت وقتاً في مراقبة هانا وهي تعد الطعام...

لكن هذا البرنامج على كثافته لم يفلح في انتشالها من الوحدة او منعها عن التفكير برالف ولو للحظة. فصورته لا تفارق خيالها، والأسئلة الكثيرة ملأت بصيرتها: اين هو الآن؟ ماذا يفعل؟ مع من يعمل؟ انه لغريب حقاً ان تغرم امرأة برجل ولا تعلم عنه الا النزر اليسير. عاد الطبيب الهولندي في ساعة متأخرة من مساء اليوم الثاني لذهابه، وكانت لورا في هذا الوقت في فراشها تستمع الى دقات ساعة الحائط تعلن حلول منتصف الليل. وما ان سمعت صوت محرك السيارة حتى تركت سريرها وفتحت النافذة لتشاهد زوجها. لكن الظلام الدامس الذي لف الدنيا لم يتح لها الرؤية بوضوح فأقفلت النافذة وهي ترتجف برداً، ثم عادت الى مضجعها. وفكرت بالنزول

اليه لعله جائع او عطشان، غير انها سرعان ما استبعدت الفكرة. وفي اي حال، فان مجرد عودته الى المنزل امر مطمئن ومفرح بالنسبة للحبيبة المتيمة. وفي الصباح عندما تستفيق بامكانها استيضاحه عن مسألة تعلمها اللغة الهولندية. وغفت لورا على حلم جميل رأت فيه نفسها تتكلم الهولندية بطلاقة ادهشت رالف... اثارت لورا المسألة في اليوم التالي وفوجئت برد رالف الايجابي:

ـ من الضروري جداً تعلمك اللغة، وانا اعرف الرجل المناسب للمهمة. سأتصل به اليوم واتفق معه على التفاصيل. المهم ان تحددي الوقت الذي يناسبك لاخذ الدروس حتى اكون واضحاً مع الرجل.

ـ العاشرة صباحاً. رغبتي في الالمام بالهولندية كبيرة جداً، لذا سألت شريكك يان عن استاذ فأجاب انك تستطيع تدبر الأمر بسهولة.

ـ لماذا سألت يان؟

بدا الانزعاج واضحاً في صوت رالف دون ان يظهر اي شيء على قسمات وجهه الساكنة.

ـ لم اشأ شغلك بهذه القضية يا رالف لكثرة اعمالك.

ترك رالف قول لورا يمر بلا تعليق فجمع اوراقه ورسائله قائلاً:

ـ اذا سأتفق مع رودي دوفال على مجيئه يومياً في العاشرة، عدا السبت والأحد.

ـ استطيع الذهاب اليه بالباص اذا كان يقطن في بارن او في هيلفرسوم.

انهى الرجل النقاش بحزم:

ـ افضل ان يأتي هو الى منزلي. سأعود في موعد الشاي.

بدأت لورا بتعلم الهولندية على يد رودي دوفال. رجل في وقار الخمسين، ذو شاربين عريضين ولحية صغيرة، يعرف ماذا يريد ومصمم على جعل تلميذته تحسن الهولندية ولو كان هذا آخر عمل

يحققه في حياته. تمتعت التلميذة بالدرس الأول ونوت اخبار رالف باخطائها الغبية حتى تنتزع الضحكة من شفتيه. بيد ان الرجل اكتفى بالاطمئنان الى بدء الدروس ودقة الاستاذ في مواعيده غير مكترث بالاستعلام عن تقدم زوجته ومدى استيعابها. وهكذا عندما دعيا الى منزل والده بمناسبة الحفل العائلي، استطاعت لورا ان تفاجئهم بعبارات هولندية بليغة تعلمتها خصيصاً للمناسبة. وهذه الدعوة لم تحمل فقط رضى لورا عن هولنديتها بل رضاها عن تصرف رالف، لانه طلب منها ارتداء فستان العرس للمناسبة. ولما نزلت كان في غرفة الجلوس ينتظرها ببدلته الأنيقة منفرج الاسارير.

ـ طلبت منك ارتداء هذا الثوب لان لونه يناسب هذه، ابقي بدون حراك قليلاً.

اقترب منها وفي عينيه بريق لم تلحظه لورا من قبل واحست ان رجلاً اخر ينظر اليها. وضع رالف حول عنقها عقداً واتبعه بسوار في معصمها فغمرتها الدهشة ونظرت في المرآة الكبيرة المعلقة في الحائط وقالت بصوت مرتفع:

ـ هذا رائع...

كفت المرأة عن الكلام بمجرد ان رأت ان للعقد والسوار تكملة: قرطان ذهبيان في وسط كل منهما حبيبات من الياقوت والماس.

ـ هذه المرة عليك وضعها بنفسك لأن الاذنين حساستان ولا اجرؤ على مس نعومتهما بخشونتي.

اخذت لورا تتأمل طقم المصوغات الكامل والأمل يزهر في اعماقها. هل بدأ رالف يتغير؟ هل تنجح رهانها على الوقت عاملاً ينسيه جويس ويولد في نفسه عاطفة تجاهها؟ وكفأس مجرمة قطعت براعم الأمل جاء كلامه الواقعي:

ـ لا فضل لي باهدائك هذا، فالتقليد يملي ان زوجة الابن الأكبر ترث هذه المجوهرات العائلية.

علقت لورا والحسرة تخنقها:

ـ فهمت. يجب ان اضعها الليلة.

ـ تماماً. امستعدة للانطلاق؟

بالرغم من الحادثة المخيبة امضت لورا سهرة حلوة. فوالد رالف يحبها كثيراً معوضاً بذلك عن حنان مفقود. ومارغريت، شقيقة زوجها، تعاملها بلطف ويقدر كبير من الصداقة. وهي امرأة في عقدها الثالث، جميلة بعينيها السوداوين وقامتها الفارعة المليئة، وبشعرها الأسود الطويل المضفي على مظهرها لمحة غجرية ساحرة. وزوج مارغريت رجل انيق ووسيم، عامل لورا بما تقتضيه اصول التهذيب واللياقة ما اراح لورا الى وجوده. اما لورانت الشقيق الأصغر فلم يخف اعجابه ومحبته لزوجة رالف منذ المرة الأولى. وهكذا تصادق واياها بسرعة وملأ وقتها بنكاته ومرحه. وبالنتيجة وجدت المرأة الانكليزية التائهة في هذا المجتمع الغريب ان امر التأقلم في جو عائلة فان ميروم ليس عسيراً جداً... ويبقى الأهم: تأقلمها مع رالف... او العكس.

بعد العشاء الراقص الذي حضره ايضاً الاعمام والعمات والأخوال والخالات واولادهم، أقيم استقبال كبير ووقفت فيه لورا الى جانب زوجها يتلقيان تهاني الاقارب والاصدقاء في جو بهيج تنوعت فيه التمنيات بالهناء وبحياة طويلة مديدة مكللة بالرفاه والبنين... وبذلت لورا جهدها لتستطيع الصمود والظهور بمظهر الزوجة السعيدة امام الجميع. خصوصاً ان العائلة، ما عدا الوالد ربما، تظن ان رالف تزوج بعد حب لا بعد صفقة املاها عليه الانفعال وثورة النفس. والمسكينة لا تعلم ان لا حاجة البتة للتظاهر بأي شيء، فهيامها برالف يقطر من كل نظرة اليه، ويقفز من كل لفتة نحوه. فسر الجميع بكون كبير ابناء العائلة تزوج بعد طول وحدة من امرأة يحبها وتعشقه. فقضيته كانت شغل العائلة الشاغل ويبدو انها حلت الآن على يد لورا. وساعدت تصرفات رالف الدقيقة على توليد هذا الانطباع لدى الساهرين. فهو قد قال المناسب وفعل

اللازم موزعاً ابتسامات السعادة على الجمع وعلى زوجته. مع الاشارة الى ان حبوره لم يخدع لورا بسبب الفتور القابع في عينيه الداكنتين. ولما وصلا الى البيت قال رالف بسرور ان جميع افراد العائلة والمعارف والاصدقاء احبوها واعجبوا بها. فشكرته متمنية في نفسها انتقال عدوى الحب والاعجاب اليه، لأنها تضرب عرض الحائط اعجاب الاخرين ما دام زوجها تمثالاً من الشمع الاصم لا يمنحها مقدار ذرة من الاحساس، او يتنازل عن خفقة قلب.

وصعدت المرأة الى غرفتها ومصوغاتها البديعة تلمع تحت انوار الثريا، وهناك في سريرها غفت على وسادة مبللة بدموع المرارة. ما الفائدة من طلب المستحيل والسعي الى القمر؟ فرحلة الالف ميل تبدأ بخطوة والسنوات امامها طويلة حتى تكسب ود زوجها وحبيبها فلتترك استباق الأمور واستعجال النتائج حتى لا ينعكس الأمل خيبة وينهار صرح حبها العظيم. والعامل المساعد في جعل لورا تصبر على المعاناة هو تأقلمها السريع في الحياة اليومية. فهي متوافقة تماماً مع هانا، وهانز خادمها المطيع لا يرفض لها طلباً. كما انها بدأت تتعرف الى محيطها جغرافياً واجتماعياً مما يخفف من وطأة الغربة ويزيد من انصهارها في بوتقة المجتمع الهولندي. وليس خافياً مقدار اهمية المامها بلغة البلاد بجهود رودي دوفال واجتهادها الشخصي. فهي الآن مثلاً تستطيع الاجابة بسهولة على اي مكالمة هاتفية لرالف، وتستطيع استقبال زوجات اصدقائه اللواتي يزرنها للتعارف. وجميع معارف زوجها احبوها نظراً لتواضعها وبساطتها في التعامل مع الناس، فوجدوها انسانة حسنة الطباع سهلة المعاشرة.

وفي احدى الأمسيات تبين ان رالف يؤيد هذا الواقع، اذ قال:

ـ اهنئك يا لورا على نجاحك السريع في لعب دور الزوجة وربة المنزل، لقد تفوقت علي في هذا المجال.

ـ افراد عائلتك واصدقاؤك احسن منك معاملة ولا ادري كيف اشكرهم على لطفهم. وكذلك رودي المعلم الممتاز ويان الصديق

الوفي.

توقف رالف بعدما كان متوجهاً الى المكتبة وسأل:

ـ يان؟

ـ نعم، فهو يمر بي من وقت الى آخر.

رفع حاجبيه مستغرباً:

ـ يبدو انك معجبة جداً بيان.

ـ يان شاب طيب ومرح.

لم ينبس رالف ببنت شفة وعاد الى مكتبته مقفلاً الباب بهدوء على عالمه الخاص... بعد يومين وصل رالف باكراً فيما لورا جالسة في الحديقة تراجع دروس اللغة. رفعت عينيها لترى صاحب الخيال الآتي ففوجئت ونهضت عن العشب قائلة:

ـ كم انا مسرورة لوصولك المبكر.

ـ اريد ان اريك شيئاً اذا كنت حرة.

ـ وكيف لا اكون حرة وقد سئمت الخوض في مجاهل لغتكم العويصة.

قادها رالف خلف المنزل الى حيث المرآب المفتوحة ابوابه الثلاثة. والى جانب سيارتي رالف وقفت سيارة فيات جديدة بلونها الازرق البراق تحاول منافسة فخامة السيارتين الاخريين. اشار الرجل بيده الى السيارة الصغيرة معلناً:

ـ سيارتك.

ـ انا ممتنة على هذه الهدية الخارقة.

ـ لنقل انها ضرورة اكثر مما هي هدية.

صب رالف بكلامه ماء بارداً اخمد اثارة الزوجة المسكينة التي، لو كان الأمر في يدها، لتناولت السيارة ورمتها في وجهه. وعوض اظهار غضبها قالت بفرح:

ـ كم مااغتبط بالتنزه وحدي...

ـ لماذا لا تجربين قيادتها الآن؟

اجابت لورا وهي تتفحص السيارة:

- علي ان اعتاد اولاً على وجهة السير المعاكسة لتلك المتبعة في انكلترا. فأنتم تقودون الى يسار الطريق ونحن الى يمينه.

وافق رالف وفي عينيه بريق عابث:

- حسناً، قوديها اذن الى البوابة وارجعي.

فتح لها الباب فانصاعت لدعوته خصوصاً انه احتل المقعد الآخر الى جانبها. وادارت المحرك وكرجت العجلات على مهل حتى بلغا البوابة فشجع رالف زوجته على المضي قدماً:

- هيا بنا نذهب الى هيلفرسوم. امضي طريقك وخذي الخط الآخر.

عجزت لورا عن الرفض لأن اباءها في الميزان والتردد يعد دليلاً على الجبن والتهرب من الملمات. لذا اكملت طريقها والحنق يخنقها.

- عافاك الله يا فتاتي! ولكن خففي من قبضتك الخانقة على المقود فهذا يصعب عليك الانعطاف يميناً ويساراً.

على هذا التعليق عقبت لورا بصرامة:

- انا اجيد القيادة فلا حاجة لاغراقي بالنصائح والتعليمات.

سارا بضع دقائق برهنت خلالها لورا على دراية في قيادة السيارة، الأمر الذي انتزع اعجاب زوجها وخفف من عنجهيته.

- تتصرفين بشكل حسن. علينا التوقف عند والدي لتدعمي رأيه بانك امرأة فريدة من نوعك. ما الفائدة من تقدير الوالد اذا كان ابنه لا يشاطره موقفه. ضغطت لورا على دواسة البنزين كأن هذه الفكرة اشعلتها غيظاً، فقال رالف بشيء من الخوف:

- لا شك في ان والدي يرغب برؤيتك سليمة من اي خدش وغير ناقصة!

لارضائه قادت لورا بحذر مضخم متعمدة التباطؤ غير الضروري احياناً، علّه بذلك يكف عن رشقها بلاذع الكلام. بلغا منزل الوالد فاستقبلهما بحرارة خص لورا منها بالقسم الأكبر. وبدا

غير مهتم باجادتها القيادة فهو يحبها ويقدرها لشخصها، الأمر الذي اثار غيظ رالف الساعي الى من يعينه في ابذائها. وآخر ما اتحفها به عند اوبتهما الى المنزل كان:

- قدت جيداً قياساً الى انها المرة الأولى، ولكن حذار من الخروج بالسيارة منفردة قبل ان اسمح لك بذلك.

- اتريدني ان انتظر وجودك النادر في البيت لاستعمال السيارة. هذا اذا كنت تملك وقتاً تمضيه خارج المكتبة.

حدق فيها طويلاً وسأل بصوت حريري:

- اتعنين انك ضحية الاهمال؟

- لم اقل ذلك، بل انا اعرض الحقيقة التي سبق ونبهتني اليها. الم تصرح لي ان مشاغلك كثيرة؟

دار الحوار بينهما وهما واقفان قرب باب المنزل فأحست لورا بتفوقه عليها نظراً للفارق الكبير في القامة. وحتى لا تخدش حباً ارادته صافياً استدركت:

- لا تهتم لاقوالي فانا لست مخولة فرض اي تغيير عليك في اسلوب حياتك.

اثلجت ابتسامته السخية صدرها ورأت في تعابيره ما يقترب من المستحيل، ما يدنو من الاعجاب. فخانتها قواها واطرقت لتفلت من نظراته الآسرة وقالت:

- آسفة لوقاحتي.

طوقت ذراعه خصرها وقال:

- انت مجرد مريض يعاني داء مزمناً ومن الطبيعي ان يكافأ على صبره، سبق اطلاق سراحها عناق مفاجىء، سأعود اليك في موعد العشاء، اذ علي زيارة احد المرضى.

لم يتمكن رالف من الوفاء بوعده فاتصل مبلغاً زوجته انهم طلبوه الى المستشفى لمعالجة حالة طارئة، وانه سيتأخر بالتالي... فلملمت لورا خيبتها وتناولت طعامها وحيدة، ثم اوت الى فراشها وفكرها

مشغول بالعناق الخاطف الذي جاء مفعماً بنكهة جديدة خاصة وتحوي الكثير من الأمل.

لم يطابق حساب الحقل حساب البيدر، وبارقة الأمل التي لاحت في البعيد غارت بعد ان حياها رالف في الصباح ببرود ظاهر وابلغها انه مسافر لثلاثة ايام الى بروكسيل عاصمة بلجيكا لالقاء محاضرات في بعض جامعاتها. ولتوديعها طبع قبلة جليدية على وجنتها كمن يقبل عجوزاً شمطاء، واتبع ذلك بنصيحة ابوية:

ـ لا تقودي السيارة وحدك.

ـ ولم لا؟

وبنبرة الطاغية اجاب:

ـ لانك ستنفذين رغبتي.

خرج مقفلاً الباب وراءه حتى لا يسمح لها بأي رد. امضت لورا اليومين الأولين بهدوء الحياة اليومية وصرفت ما عليها من اعمال بسيطة. لكن فكرة ارغامها على عدم قيادة السيارة بدأت تزعجها كثيراً، وتنامى في داخلها شعور برفض هذا الأمر الواقع. فهي امرأة ناضجة ولا يحق لاحد حجز حريتها بهذا الشكل القسري، كما انها ليست مراهقة متهورة طائشة قد تسبب الحوادث بقيادتها الرعناء.

وفي اليوم الثالث ادركت ان رالف لم يأمرها بالامتناع عن قيادة السيارة الا لشدة ظلمه. فتوجهت بعد الغداء الى المرآب وخرجت بالفيات الى الطريق العام من دون ان تحدد لنزهتها وجهة. وسلكت طريق هيلفرسوم حيث بامكانها القيام بالتسوق نظراً لتوافر المال في جيبها ولحاجتها الى ملابس جديدة... لا لأنها لا تملك ثياباً بل للتنويع والتسلية. ضغطت قدم لورا اكثر فأكثر على دواسة البنزين وقادت بثقة المجربين وخبرة المحنكين. وحين وصلت الى مفترق وشاهدت لافتة تشير الى الطريق المفضي الى امستردام، راقت لها الفكرة وسلكته وضميرها شبه مرتاح الى عدم قيامها بعمل خاطىء.

من غرائب الصدف ان رالف عاد قبل موعده بيوم واحد وتوجه الى

عيادته فوراً من دون ان يتسنى له ابلاغ زوجته بمجيئه المبكر. وفيما هو واقف قرب النافذة ينظر الى الفراغ بانتظار المريض الأول لمح سيارة الفيات الزرقاء تمر بسرعة وبداخلها لورا التي عرفها فوراً من لون شعرها. فخرج من غرفته مسرعاً ومفاجئاً سكرتيرته بهذه الفورة المصحوبة بما تيسّر من كلمات نابية في اللغة الهولندية. ولما سألته عن سبب خروجه المفاجىء اختلق لها حالة طارئة لا تتحمل الانتظار.

ـ ماذا علي ان افعل بالمرضى يا سيدي الطبيب؟

ـ تدبري الأمر بطريقة ما، اتصلي بهم وعيني مواعيد جديدة يا ويلما. اذا لم اعد اقفلي العيادة واذهبي الى البيت.

لم يرض كلام الطبيب فضول سكرتيرته الثلاثينية التي رافقته منذ سنوات اكسبتها خبرة كبيرة في طبعه، فسألت:

ـ الى اين انت ذاهب؟

اجاب وهو يقفل الباب:

ـ ليتني اعلم!

في هذا الوقت كانت لورا على الطريق الواسع بين هيلفرسوم وامستردام حيث السير الكثيف والسيارات المسرعة. فأحست بشيء من الندم لتسرعها واخذت الخط الأيمن المخصص للسير الأكثر بطئاً فيما تتجاوزها السيارات والشاحنات الضخمة بسرعة جنونية. وهي بذلك احسنت صنيعاً خصوصاً بابقائها مسافة محترمة بين سيارتها وما امامها. فجأة لمحت سيارة الى يسارها تتزحلق وتصطدم بالحافة الفاصلة بين الاتجاهين قبل ان تنقلب على سطحها وتستقر الى يمين الطريق. وعلى الفور خففت من سرعتها واضاءت الاشارة ثم توقفت قرب السيارة المقلوبة. وفوجئت لورا بأن احداً من المارين لم يكلف نفسه حذو حذوها، فدنت من السيارة ورأت راكبها الوحيد عالقاً في كرسيه بسبب حزام الأمان، ولحسن الحظ انه لم يفقد وعيه. تمتم الرجل كلمات هولندية لم تفهم منها شيئاً فخاطبته بلغته:

ـ انا انكليزية ولا احسن لغتكم.

تنفست الصعداء لما قال لها بانكليزية ضعيفة:

- ساقاي عالقتان. . .

ولورا بالطبع لا تستطيع تخليصه وحدها فتلفتت حولها لترى عدة سيارات قد توقفت وترجل منها شبان ورجال لنجدة المصاب. فقالت لهم مع علمها انهم قد لا يفهمون شيئاً:

- خذوا حذركم وانتم تقلبون السيارة لئلا تتضاعف اصابته.

ثم توجهت الى السائق المسكين مشجعة:

- تمسك بالمقعد جيداً ولا تخف، ستشعر بارتجاج بسيط ولكنهم سينقذونك.

عانى الرجل كثيراً قبل ان يتمكنوا من اعادة ايقاف السيارة على عجلاتها. ولما فتحوا الباب لسحب السائق المصاب وجدوه مغمى عليه. نظرت لورا بعيني الممرضة الى الوجه الشاحب المتصبب عرقاً بارداً. فطلبت من المتجمهرين سكيناً قصت بها ساق البنطلون فيما تولى احد المتطوعين قص الساق الاخرى. وانهمكت المرأة بعملها لدرجة انها لم تر سيارة الرولز رويس تتوقف على بعد بضعة امتار منها. دنا منها رالف هامساً في اذنها:

- حسابك مؤجل الآن. امسكي ساقه المحطمة جيداً لارى ما بوسعي فعله.

نظرة واحدة الى وجهه الابيض كانت كافية للورا لكي تنفذ الأمر بحذافيره. فتح رالف حقيبته وبدأ يعمل موجهاً تعليمات سريعة للرجال المتحلقين حوله واخرى للورا متناسياً انها امرأته كأنه يجري عملية جراحية في المستشفى. سرعان ما حضرت سيارة اسعاف واخرى لرجال الشرطة الذين بدأوا بالاستماع الى الشهود بعد نقل المصاب. وبدا ان الشرطيين يعرفون رالف الذي تولى ترجمة افادة زوجته لهم.

وبعد انتهاء المعمعة امسك الطبيب الغاضب بذراع زوجته، قائلاً بتهديد:

- استطيع. . .

تراجعت لورا عن مواصلة الكلام بمجرد رؤيتها الشرر المتطاير من عينيه وصعدت الى سيارته صاغرة. في الطريق بقي الرجل صامتاً ولم تحاول لورا بدء اي حديث لانه اخافها بهدوئه الذي ينذر بعاصفة هوجاء. وعندما بلغا المنزل قال وهو يتوجه الى المكتبة:

- اسمحي لي بدقيقة من وقتك الثمين.

عندها قررت المرأة مواجهة المشكلة مباشرة:

- عدت قبل الموعد بيوم. . .

تجاهل رالف كلامها مقاطعاً:

- طلبت منك عدم القيادة في غيابي، سحب كرسياً وتابع، اجلسي.

- افضل البقاء واقفة. واحب تذكيرك بأنك لم تطلب مني بل امرتني بكل ما اوتيت من وقاحة.

- اقدم اصدق اعتذار للسيدة لورا. اهذا ما دفعك لمخالفة مشيئتي؟

- نعم، فأنا لست سائقة فاشلة ولا فتاة حمقاء.

- صحيح! انت لست فتاة، ولكنك حمقاء! عندما رأيتك تمرين بجانب العيادة. . . لم يكمل رالف ما بدأه بل استدرك، فلننس تلك اللحظة. اظن انك تدركين ماهية شعوري عندما رأيت سيارتك فارغة على حافة الطريق.

كانت كلمة «حمقاء» ما تزال تطن في اذن لورا فصاحت في وجهه:

- لا! لا استطيع ادراك شعورك لانك لا تملك اي شعور تجاهي! هل استطيع الآن الانسحاب الى غرفتي لاني مصابة بصداع تزيده محاضرتك سوءاً؟

اقترب رالف منها سائلاً:

- الم تصابي بأي اذى؟

ادارت ظهرها واجابت:

ـ كنت اتمنى ذلك!

خرجت من المكتبة مقفلة الباب بعنف وهي تكتم رغبة بالبكاء، وصعدت الى غرفتها حيث ارتمت على سريرها تجهش مطلقة لعبراتها العنان.

بعد قليل حضرت الخادمة السا مع طبق يحمل ابريقاً من الشاي الساخن فرفضته وابلغتها انها لن تنزل الى العشاء. وهو قرار ندمت عليه لانها ما لبثت ان شعرت بجوع شديد واضطرت للاكتفاء ببعض قطع البسكويت وجدتها على الطاولة، اتبعتها بكوب ماء من الابريق الذي لا يفارق غرفتها. وتحسرت لورا على ما فاتها من اطايب اعدتها للعشاء مع هانا بسبب تصرفات زوجها.

امضت المرأة وقتاً طويلاً تحت مياه الحمام المنعشة وكذلك في تقليم اظافرها وترتيب ثيابها. ومع هذا كله وجدت عقارب الساعة لم تتجاوز التاسعة. فتمددت على سريرها بانتظار ان تسمع رالف يدخل الى غرفته. ودام انتظارها ثلاث ساعات حتى صعد الرجل الى غرفته مع دقات الساعة.

واخيرا تعاون الجوع والارهاق على لورا فاغرقاها في نوم عميق اين منه نوم اهل الكهف...

في الصباح التالي، بينما كانت ترتدي ملابسها، خطر لها ان تعتذر بالرغم من انها لا ترى سبباً وجيهاً لذلك سوى وجوب اقدام احدهما على الخطوة الأولى. لكن لورا سرعان ما تخلت عن خطتها لما جلست قبالته ورأت عينيه القاسيتين وجموده التام. فظلت صامتة لا تجرؤ على الاتيان بحركة الى ان نهض اخيراً مبلغاً انه سيعود عند الظهر.

امضت المرأة وقتها بين توضيب غرفة نومها والاصغاء بشرود لشروحات رودي دوفال حول الفعل الماضي وتعقيداته، ثم جلست في الحديقة تلاعب كلبيها. وهناك وافاها يان الذي حضر ليترك رسالة لرالف تفيد بالتوجه لزيارة احد المرضى، فقرر مجالسة لورا لبعض الوقت حول فنجانين من القهوة الساخنة التي اعدتها هانا.

ومن الحديقة انتقلا الى حافة حوض السباحة مع مزيد من القهوة بالرغم من اقتراب حلول موعد الغداء. وبعد التحادث في امور مختلفة قال يان بارتباك:

ـ اود استشارتك في شيء لكني اخشى ازعاجك...

ازاء امارات الجدية والقلق على وجهه قالت:

ـ انا صديقتك يا يان والصديق عند الضيق.

ـ حسناً سأتكلم. لقد اسكنني رالف في شقة يملكها في بارن وهي تناسبني تماماً. كما وعدني بمنحي بيتاً اوسع في المدينة نفسها. حين انوي الزواج. وانا اقدر لفتته الكريمة كثيراً، لكن خطيبتي روزا ترفض ذلك وتطالبني بشراء مسكن من مالي الخاص، وهي تأبى الزواج قبل ذلك معتبرة ان رالف لن يعطي دون منة. واني ساظل مديناً له طوال حياتي... هذا الكلام فارغ بالطبع غير اني عاجز عن اقناعها بأن رالف بعيد عن هذه العقلية وانا صديقان نعطي بعضنا دون حساب، فلو كنت مكان رالف لفعلت تجاهه الشيء نفسه. فأرجو منك ان تتحدثي الى روزا لافهامها الحقيقة واقناع رالف ببيعي البيت بالتقسيط مع ان امواله تغنيه عن اخذ الثمن. فقد يكون في ذلك حل وسط للمشكلة. وبصراحة لا اجرؤ على التحدث اليه بنفسي لانه غارق بأعماله وزواجه. ضحكت لورا للكلمة الاخيرة واكدت:

ـ سأبذل قصارى جهدي للمساعدة يا يان. اين تقطن خطيبتك الرافضة؟

ـ في اوتريشت. حبذا لو قبلت بمرافقتي اليها في الغد فأصيب عصفورين بحجر واحد: اقناعها وصحبتك الحلوة.

ـ فكرة رائعة. المشكلة تكمن في اقناع روزا ولا اعتقد ان رالف سيمانع من جهته ببيع البيت كما اقترحت. شغل الاثنان بالحوار ولم ينتبها الى وصول رالف الا بعد اندفاع الكلبين نحوه. التفتا نحوه بشيء من الدهشة وزاد يان الأمر سوءاً عندما نهض بسرعة وانسحب

ليعود الى عمله كما قال. رافقه رالف الى الباب بتهذيبه المعهود ولم يظهر عليه شيء الى درجة انه لم يذكر اسمه مرة واحدة خلال الغداء، بل حاول ان يبدو مرحاً اكثر من العادة وكأن علاقته بزوجته عظيمة لا تشوبها شائبة. ولما تركها عائداً الى عيادته وجدت لورا نفسها غائصة اعمق في رمال غموضه المتحركة وعاجزة عن فهم هذه الاحجية التي اسمها رالف.

فتحت لورا عينيها في اليوم التالي على طقس حار وهواء ساخن وانباء رالف بتأخره حتى المساء. فهي لا تطلب افضل من ذلك لتتمكن من موافاة يان الى بارن في العاشرة. ولهذه الغاية استقلت الباص ووصلت الى مكان اللقاء، ومن هناك انطلقا في سيارته نحو اوتريشت والحديث متمحور حول روزا وطباعها. كونت لورا انطباعاً جيداً عن خطيبة يان، فروزا فتاة جميلة بشعرها الاشقر وعينيها الخضراوين، وميزتها الاساسية تلك النبرة الواثقة والارادة الحديدية التي تعرف ماذا تريد وكيف الوصول الى المبتغى. جلست وإياها في احد المقاهي بعد ان تركها يان واعداً بالرجوع ظهراً.

وارتاحت لورا لكون الفتاة تتكلم الانكليزية بطلاقة مما يتيح لهما التفاهم اكثر. وشعرت المرأة بتقديمها النصح والارشاد للفتاة الهولندية انها عجوز مجربة تحمل في ذهنها حكمة الدهر كله، وهو شعور لا يمكن ان يروق للمرأة. والغريب في الأمر محاولة لورا اغناء «تلميذتها» بالمعلومات عن طبائع الأزواج وطريقة ارضائهم وهي لم تعرف بعد الى ذلك سبيلا. لكن طريقة عرضها للأمر جاءت واقعية بشكل خفف من تصلب روزا التي ابدت استعداداً للتنازل عن شروطها من اجل ان يتوج حبها ليان بالزواج.

هكذا ساهمت لورا في تغليب وجهة نظر يان الذي لم يخف فرحه وهو ينزل لورا قرب منزلها بعد عناقها عناقاً اخوياً. قالت لورا:

ـ ما عليك الآن سوى مفاتحة رالف بموضوع شراء البيت.

ـ الن تتولي هذه المهمة عني؟

ـ لا. خصوصاً انه عليك التأكد من قبول روزا النهائي وعدم تفكيرها بالعدول. فلو فعلت لا فائدة من التحدث الى زوجي.

هم يان بعناقها من جديد لما فتح الباب وخرج رالف اليهما، لم تعلم لورا من اين اتتها دفعة شجاعة فحيته بثقة:

ـ مرحباً يا رالف. ذهبت مع يان الى اوتريشت للتسوق هناك، وها قد اعادني في طريقه.

ابتسم رالف بمكر دون ان ينبس ببنت شفة فأضافت لورا:

ـ لكن رحلتي لم تجد نفعاً لاني لم اعثر على ما اريد، نظرت الى يان وتابعت، شكراً لك ولا تطل الغيبة.

وهنا تدخل رالف:

ـ لا تنسى الاجتماع في المستشفى في التاسعة ليلاً.

صعد الطبيب الى سيارته بسرعة كمن يفر من جلاده مؤكداً:

ـ ساكون هناك.

دخل الزوجان المنزل حيث بادر رالف الى السؤال:

هل امضيت نهاراً ممتعاً؟

ـ نعم، شكراً.

ـ كنت تتوقعين عودتي في العشية، اليس كذلك؟

ـ هذا ما قلته لي.

ـ ارجو الا تكون عودتي المبكرة قد افسدت برنامجك ويان.

عقدت الدهشة لسان الزوجة فنطقت بعد جهد:

ـ برنامجي ويان؟ عما تتكلم؟

ـ لا أتكلم بالطبع عن التسوق في اوتريشت فهذه كذبة جلية.

ـ لا انكر ذلك، ولكن لماذا الغضب والتشكيك؟

اضاء وجهه ابتسامة قصيرة حين اجاب:

ـ ستفاجئين لو اخبرتك، وانا كذلك مصاب بالمفاجأة، اقترب منها واردف، هل فات الأوان لنعيد ترميم صداقة اردنا اواصرها متينة وعروتها وثقى؟ اعترف اني مخطىء، فقد عاملتك بطريقة سيئة

تجعل من اي امرأة اخرى تدير ظهرها لي وترحل. لكنك عضضت على الجرح واكملت دورك كزوجة كاملة تدير بيتها بشكل رائع، وانتزعت ببراعة اعجاب عائلتي واصدقائي. كما انك تفاهمت جيداً مع خدام المنزل وبذلت مجهوداً جباراً لتعلم لغتي. توقف قليلاً ليسأل، انادمة انت على الزواج مني؟

ارادت لورا الاعتراف بالخيبة الصغيرة التي تشعر بها لا لزواجها منه بل لفشلها في كسب حبه، غير انها عدلت عن ذلك واجابت:

ـ لست نادمة على شيء يا رالف، ولا ارى سبباً يحول بيننا وبين الصداقة التي اتفقنا عليها. وانا ادرك مدى عمق الأزمة العاطفية التي اجتزتها والتي تجعلك سيء المزاج احياناً، اكملت بنعومة، لم لا نكرر المحاولة؟ اتعلم اني ظننتك هاجماً لقتلي عندما خرجت من المنزل.

التمعت عيناه وعلق:

ـ ترى لماذا تولد في نفسك هذا الاعتقاد؟ هلمي لنشرب الشاي في الحديقة.

ـ انا اتضور جوعاً واستطيع التهام كل قالب الحلوى الذي اعدته هانا.

حمدت لورا ربها على مرور العاصفة بسلام وشعرت ان املها بالسعادة لم ينطفىء كلياً، ورات قبساً يلوح في ديجور حياتها.

٨ - وانتهى الحلم

مرّ اسبوع جديد اعتبرته لورا ناجحاً الى حد ما، اذ لم يحصل ما يعكر صفو علاقتها العادية برالف. فحياتها اشبه بالتعامل بين صديقين او شريكي عمل، وهو امر افضل من الخصام واقل من الوئام. والحقيقة ان رالف بذل عدة محاولات للانتصار على تقوقعه وقبولها كجزء من حياته. فقد اصطحبها مرة لزيارة شقيقته، كما عرفها على العيادة وعلى سكرتيرته ويلما واخذها في جولة على المستشفى. وفصل لها كذلك برنامج المحاضرات التي سيلقيها في مختلف الكليات الطبية في البلاد وخارجها. هذا كله لم يمح تحفظه وحرصه على عدم اظهار الكثير من الاندفاع، الامر الذي جعل لورا تعامله بالمثل. فقد اكتفت دوماً بالموافقة على اقتراحاته بفتور وكأنها

تنفذ واجباً ليس الا، ممضية اوقاتها الاخرى بشراء الثياب وادوات التجميل المتنوعة. اما دروسها في اللغة فتابعتها بجدية كبيرة واحرزت تقدماً ملموساً حاز على رضى استاذها رودي دوفال. ولم يتبدل شيء في ما خص السهرات المنزلية، فرالف يمضي الساعات في المكتبة متفادياً قدر الامكان وجوده مع زوجته على انفراد. ولورا رضيت بهذا الواقع على مضض مدفوعة بالصبر فلربما المعاناة تنتهي يوماً. لم يطرأ ما يغير مسار حياة لورا الرتيب الا في منتصف الاسبوع التالي. فقد جاء هانز معلناً بلغة هولندية وببطء ووضوح ان سيدة ترغب برؤيتها. تركت لورا القماشة التي تطرزها متسائلة من يمكن ان تكون الزائرة. لربما كانت روزا خطيبة يان، او البارونة فان ديل آبل العجوز الرائعة التي تعرف آل فان ميروم منذ ان كان رالف طفلاً، والتي تأتي لزيارة لورا احياناً لتطرح بعض الاسئلة الفضولية اللجوجة. رتبت لورا ثيابها ووقفت لتستقبل الزائرة التي لم تكن روزا ولا البارونة فان ديل آبل.

دخلت جويس الى غرفة الجلوس وجمالها مشرق كما لم يشرق من قبل. بدت كالعادة فائقة الاناقة تزينها حلى مختلفة. ولا شعورياً اخذت لورا تقيم مقارنة بين ما ترتديه اختها وفستانها الازرق الانيق، وما تضعه الأولى من مجوهرات وما تضعه هي. وكأن مجال المنافسة على نيل رالف ما يزال مفتوحاً. مشت الشقيقة الكبرى نحو الصغرى مرحبة:

- عزيزتي جويس! يا لها من مفاجأة حلوة! لم اكن اعلم انك...

- كنت ولاري في انكلترا في زيارة قصيرة للوالد، ففكرنا بالمجيء الى هولندا لأراك اولاً وليصرف لاري بعض اعماله هنا. قبلت جويس شقيقتها وجلست في كرسي تتطلع حولها، ثم اضافت، يبدو انك وفقت اخيراً يا لورا، اذ لم اكن اتصور ان رالف يملك قصراً كهذا. لقد سبق، واخبرني عنه لكنني لم احمل كلامه على محمل الجد. لا بد ان لديه مالاً وفيراً ليقتني بناء بهذه الفخامة.

غيرت لورا وجهة الحديث مستوضحة:

- اخبريني عن حياتك ولاري. هل احببت بيتك في اميركا وتأقلمت في مجتمعهم؟ فانت نادراً ما تكتبين.

- وقتي لا يسمح لي بذلك فعلي التوفيق بين ادارة المنازل الثلاثة التي يملكها لاري، فهو ثري جداً كما تعلمين. ولكن ماذا عن رالف؟ ايؤمن لك كل ما تحتاجين ويغرقك بالملابس والحلى؟

لم تجب لورا على السؤال بسبب دخول رالف في اللحظة نفسها. فهو يجيء دائماً قبل موعده عندما يجري في المنزل شيء غير مألوف، ووجود جويس من اهم اللامألوفات. واستبعدت لورا فكرة مرت في خاطرها: علم زوجها بمجيء جويس.

وقف رالف على مدخل الغرفة يحدق في الضيفة التي منحته اسخى واجمل ابتسامة لم تلق تجاوباً، فظل جامداً كالصخر واقترب منها قائلاً:

- جويس...

هبت جويس من مقعدها واندفعت نحوه، ثم طوقت عنقه بذراعيها واشاحت لورا نظراتها حتى لا ترى القبلة التي لا تمت الى صفة الاخوية والبراءة بصلة. وانسحبت الشقيقة الكبرى قائلة:

- ساحضر المزيد من الشاي.

كتمت لورا رغبة بالبكاء في طريقها الى المطبخ لأن رالف بالرغم من هدوئه، بهر بشقيقتها ولم يكترث لها حتى انه لم يلاحظ وجودها البتة. وقبل ان تصل الى المطبخ التقت بهانز الذي اخذ منها ابريق الشاي ولم يترك لها سوى خيار الرجوع الى غرفة الجلوس. هناك كان رالف وجويس يتبادلان ضحكة طويلة لم يضحكها رالف منذ زواجه. ولما شاهد زوجته قال بخفة:

- لاري وجويس يدعواننا الليلة لتناول العشاء في فندقهما. فهل تناسبك الساعة الثامنة؟

وافقت لورا على المشروع متظاهرة بالسرور وانهمكت بصب

- الطلاق سهل هذه الأيام يا عزيزتي لورا. باستطاعتك الاحتفاظ برالف لشهر او اثنين على الأكثر بينما انهي طلاقي من لاري، وبعدها ترحلين بعيداً فيطلقك رالف بدوره واعود انا اليه لأعيش معه في هذه الجنة.

اثارت هذه الأقوال في نفس لورا رعباً وغضباً جارفاً فقالت بتصميم:

- لا بد انك فقدت رشدك، فكل الذي خرج من فمك هذيان بهذيان لانك حاصلة على زواج سعيد.

رفعت جويس كتفيها علامة عدم الاكتراث قائلة:

- لا بأس بلاري مرحلياً، غير ان رالف مختلف. واظن انني لم افقد رشدي كما تدعين، الم تري الحرارة التي قبلني بها زوجك امام ناظريك؟ لا عجب في ذلك وهو ما يزال عالقاً في هواي. وبنبرة هازئة واصلت، تعلمين ان رالف لن يلتفت اليك اذا قررت العودة اليه.

احست لورا بصخرة جبارة تضغط على صدرها وكأنها كابوس محموم تختلط الحقيقة فيه بالوهم. فهي لم تر القبلة بل رأت مشروعها وهربت من البقية، ومع ذلك هي واثقة من صحة اقوال جويس في ما خص تجاوب رالف مع عناقها.

وبردة الى الواقع قالت لورا بنبرة راكدة:

- الا تظنين ان محادثتنا اضحت سخيفة بعض الشيء؟

- لم تكوني يوماً اكثر من فتاة بلهاء تتظاهر بأن كل شيء يسير على ما يرام لتقنع نفسها بسعادة زائفة. سترين انني عنيت كل كلمة قلتها وان رالف سيصطحبني غداً في نزهة لان قلبه يطلب ذلك.

- لا شيء في العالم يجعل رالف يهمل عمله، حتى وان كان هذا الشيء جويس.

- هراء!

تناولت جويس احدى التحف القديمة وقلبتها بين يديها باعجاب، فتولت لورا شرح مصدر القطعة وثمنها. واثر ذلك قالت

في نفسها انها صارت تعشق كل زاوية من هذا المنزل، وانها بالتالي لن تتخل عن ذرة مما حظيت به ولن تتراجع عن الاحتفاظ برالف قيد الجملة دون معركة طاحنة... اما اذا ثبت لها ان رالف ما يزال يحب جويس فعلاً، فالأمر يختلف، وعندها سترضى بالطلاق من اجل سعادة الرجل الذي تحب ومن اجل سعادة شقيقتها. فلورا لا تتوانى عن فعل ما يسعد حبيبها ولو كان ذلك يؤدي الى شقائها والى البعاد عمن خفق له قلبها منذ النظرة الأولى. انسحبت لورا من الغرفة لتعطي بعض التعليمات لهانز وتعلمه انهما سيتناولان العشاء خارج المنزل. وفي الرواق اخذت تتأمل وجهها في المرآة، فرأت في ملامحها ايذاناً ببدء انهيار عالم الاحلام الحلو الذي بنته حولها. كأنه مشهد معلق بين الواقع واللاواقع، لا ترى له بعداً زمنياً، لا تعرف له بداية او نهاية... اين هي الآن والى اين تذهب؟ ايصمد رالف بوجه اغراء جويس ام يرمي لورا في سلة المهملات ويقتفي خطى قلبه؟ اسئلة... اسئلة، تتخبط فيها لورا وتفشل في العثور على سبيل للخروج من الشرنقة الخانقة.

عادت جويس الى فندقها بسيارة تاكسي بعد ان ودعت شقيقتها بمرح مذهل جعل لورا تتساءل ما اذا كان كلامها المجنون قد امحى.

صعدت السيدة فان ميروم الى غرفتها تلتهم اللحظات الآتية وتمزق الوقت بالتلهي في الفستان الذي ستختاره للسهرة. فانتقت ثوباً رمادياً طويلاً مزيناً بحبيبات وازرار من اللؤلؤ. وكلمسة اخيرة وضعت الحلى التي اهداها اياها رالف، ثم نزلت الى الطابق السفلي حيث انصرفت الى القراءة لتمضي الساعة الباقية لحلول موعد الذهاب. ولكن من اين لها ان تقرأ ورأسها مزروع بالافكار المشوشة ونفسها تعيش في حالة بلبلة وتمزق. ووجدت انها تعاني صداعاً حاداً سببته هذه التساؤلات المقلقة التي لا تعرف لها جواباً شافياً. ومع ذلك رأت نفسها امام خيارين لا ثالث لهما: اما ان تنسج على المنوال عينه وترضى بواقعها، مدبرة منزل لرالف، تستقبل اصدقاءه، تؤمن

له جو عمل ملائماً، تنتظر عودته من رحلاته. . . باختصار تنفذ ما التزمت به قبل الزواج، واما ان تصرح له بالحب الذي يختلج في قلبها. اعتراف مستحيل كونه لا يساهم في حل المعضلة. فرالف رجل انوف وابي مما يجعله رافضاً لاغراءات جويس محكماً عقله على نزوات قلبه، فاذا اقدمت لورا على خوض غمار الخيار الثاني تجعل الرجل ينفر منها وتكون النتيجة شقاء الثلاثة معاً.

من الأفضل اذن السكوت والتفرج على تطور العلاقة بين رالف وجويس، فاذا كانت جدية حقاً تنحت لورا جانباً بهدوء. هذا، مع عدم اغفال رأي لاري الذي تجهله تماماً وتجهل موقفه. لكنه لا بد انه رجل ناضج ويستطيع الصمود امام فاجعة فراق جويس. في هذه اللحظة دخل رالف بدون ان يحدث ضجة وقال:

ـ آسف لتأخري. فستانك رائع يا عزيزتي ومتوافق تماماً مع لون الياقوت.

لم تحتج لورا الى ارتداء مشلح لان الطقس كان دافئاً. وطوال الطريق شهدت الرولز رويس حواراً تائهاً بين الزوجين وكان افكارهما تسبح في عالم آخر.

وصلا الى الفندق ذي المنظر البهي بنوافيره الغزيرة، ببنائه الضخم وحدائقه الفسيحة. وشعرت لورا بالأسف كون زيارتها الأولى لهذا المكان البديع تتم في جو مكهرب ومشحون. ولطالما حدثها رالف عن جمال هذا الفندق عندما كانا صديقين ابان عطلة شهر العسل، وهذه الصداقة اصبحت اليوم من مخلفات الماضي بعد وصول جويس وكأنها القدر المؤجل لتخطف رالف من جديد. اخطأ جدها عندما اعتبر علاقة رالف بجويس مجرد وهم ونزوة، فلورا واثقة الآن ان هناك رابطاً اعمق بين الاثنين. ترجلت لورا من السيارة الجبارة ومشت تجر ذيلها تيهاً بأناقتها المفرطة والتي جعلت رواد الفندق يرمقونها بنظرات الاعجاب. وسارت الى جانب رالف نحو المطعم حيث ينتظرهما لاري وجويس. . .

تمددت لورا في سريرها بعد ساعات تراجع في فكرها مجريات السهرة في الفندق لحظة بلحظة. لاري شاب رياضي ومرح يحب الحياة، وصرف وقتاً طويلاً في التحدث عن ثروته وبيوته التي يملكها وكذلك اليخت الفخم الذي يقتنيه في الولاية الاميركية فلوريدا. والدليل على صدق اقواله خاتم كبير من الالماس كلل اصبعه، ونظارتاه ذات الاطار الذهبي الخاص. اظهرت لورا الاهتمام اللائق بالأحاديث الدائرة وكذلك فعل رالف الذي حافظ على اتزانه ورصانته بجهد واضح، فجويس بدت باهرة الجمال بثوبها الازرق كحورية الاساطير يعجز الرجل عن اشاحة عينيه وتأملها الا اذا كان مصنوعاً من حجر. ورالف ليس استثناء على القاعدة، فزوجته لمحته مرات ومرات يحدق في شقيقتها. تناول الاربعةعشاء عامراً وحافلاً بالأطايب على انواعها. وخلاله لم يكف لاري عن الكلام المفرط عن ثروته الضخمة مما ولد في نفس لورا شعوراً بأن زوجها اغنى من ذلك المدعي. مع العلم ان هذا العامل لا اهمية له لان رالف يبقى هو هو ولو كان لا يملك فلساً واحداً. وقد ثبت ذلك لقلبها اثناء السهرة التي ظهر فيها كالعادة محدثاً لبقاً ومصغياً اميناً موزعاً مشاركته على الجميع. عدلت لورا وضع وسادتها للمرة العاشرة علها تجد الراحة، واستمرت تفكر في ما يحصل نحواً من ساعة قبل ان تغمض عينيها على احلام مزعجة بطلاها رالف وجويس.

في الصباح التالي عاد ذهنها الى صفائه، فالأوهام السخيفة لن تجدي نفعاً في حل المشكلة. وهكذا حيت زوجها بحرارة، جلست الى المائدة بعد ان اعطت الكلبين بعض قطع البسكويت، وشربت القهوة الساخنة فيما هي تقرأ رسالة وصلت من والدها، ورالف بدوره منهمك بالاطلاع على رسائله. بعد ذلك بدأ الرجل الكلام كأنه راغب بمحادثة، فقال:

ـ كانت امسية ناجحة، أليس كذلك؟ ويبدو ان الزواج زاد جويس جمالاً.

تركت لورا رسالة والدها ورفعت عينيها الى زوجها الزائد اعجاباً بجويس، والذي ألمح ضمناً الى ان الزواج لم يفعل للورا الشيء نفسه. وبكل بساطة وافقت المرأة:

- جويس امرأة ساحرة، وانا سعيدة جداً لنجاح زواجها.

لم تزد لورا على ذلك فالخوض في هذا الحديث، كمن يسير في حقل الغام، يجب ان يكون حذراً لا يعرف الزلات.

- فهمت من شقيقتك انها غير راضية تماماً عن حياتها مع لاري، فهو يسافر كثيراً ويتركها وحيدة يومين او ثلاثة كل اسبوع تقريباً. . .

لم تفلح لورا في ردع الكلمات التي خرجت من فمها مقاطعة:

- وانت كذلك.

ووجدت المرأة صعوبة في النظر الى وجهه كمن يقابل عيني جلاده، بيد انه لم يظهر غاضباً او مدهوشاً بل على العكس بدات ترتسم على شفتيه ابتسامة حلوة.

- لا اظن انك عقدت مقارنة عادلة يا لورا، جمع رالف اوراقه ونهض متابعاً، سأكون في عيادتي معظم النهار، فهل اجدك هنا ظهراً؟

اجابت بنبرة ارادتها عادية لا تنم عن الفرح:

- نعم.

- في اسوأ الأحوال اكون هنا في الخامسة.

- لا تنسى ان جدي والبارون والبارونة فان ديل آبل مدعوون الى مائدتنا الليلة.

- احسنت صنيعاً بتذكيري لان ذلك غاب عن بالي تماماً، وقبل ان يبلغ الباب التفت سائلاً، هل انت سعيدة يا لورا؟

سؤال غريب وغير متوقع جعلها تتلعثم وتجيب:

- سعيدة؟ نعم فعلى الأقل انا. . . نعم انا سعيدة يا رالف.

ادركت لورا ان ردها جاء ضعيفاً دون مستوى الفرصة السانحة للبوح بما يشغل القلب، فسرعة البديهة خانتها وجعلت الفرصة

تفلت من يدها. اما رالف فلاحظ ذلك ولم يقتنع باجابتها البتة، ووقف يرمقها بنظرات ثابتة قبل ان يقول:

- لورا. . .

وما لبث ان عدل عن الكلام وغادر الغرفة تاركاً زوجته تعض اصابعها ندماً على حماقتها، وتراجع في ذهنها عشرات الأجوبة التي تضع النقاط على حروف سؤاله. امضت لورا بعض الوقت مع هانا في المطبخ لاختيار وجبة الغداء، ثم خرجت الى الحديقة وقطفت تفاحاً واجاصاً لاختتام الغداء بالفاكهة اللذيذة بنت الأرض الخيرة. وبعد ذلك توجهت الى بارن لشراء الحاجيات المنزلية وتختلط بعامة الناس الأمر الذي يحسن لغتها. ثم عادت بعد فراغها من اعمال الشراء. وفي البيت تساءلت ما اذا كان يجدر بها الاتصال بجويس ام لا، والأخيرة قد لا تكون في الفندق اذ قالت في الأمس ان احتمال خروجها مع لاري كبير. فجأة رن جرس الهاتف فأجاب هانز ومرر السماعة لسيدته معلناً ان الاتصال من الدكتور رالف. بدا الرجل قلقاً ومرتبكاً فتردد كثيراً في الكلام:

- حدث طارىء سيمنعني من المجيء قبل حلول المساء، هذا اذا حالفني الحظ.

- ماذا حدث يا رالف؟ الى اين انت ذاهب؟

- الوقت ليس وقت كلام.

على هذا اقفل رالف الخط وبقيت لورا ممسكة بالسماعة حائرة لا تفهم ماذا يحصل. وتمتمت بخيبة:

- كان بوسعه ان يقول الى اللقاء، فهذا لا يكلفه كثيراً. كان عليها ان تسأله من اين اتصل فهذا يوضح لها قليلاً ما يشغله. وتنبهت الى انها سمعت اصواتاً وجلبة من خلال السماعة تختلف عن خبرتها بضجيج المستشفيات، فقد بدا كأنه يتحدث اليها من فندق. . . وخطر لها قبل ان تخرج للبحث عن رالف ان تتصل بالفندق. ولما فعلت ابلغها عامل الهاتف ان لا احد يجيب في غرفة جويس، وسألها

عن هويتها فأجابت:
ـ انا شقيقتها، السيدة فان ميروم. كنت انتظر مجيئها الى بيتي منذ وقت طويل، وانا قلقة عليها.
ـ بما انك شقيقتها استطيع ان اخبرك. لقد غادرت السيدة جويس الدريدج الفندق منذ عشر دقائق.
ـ وحدها؟
ـ لا داعي للقلق يا سيدتي فقد رأيتها بصحبة الدكتور فان ميروم.
هذا ما توقعته لورا التي تمكنت من القول قبل اقفال الخط:
ـ لقد طمأنت قلبي فهما بالطبع في طريقهما الى هنا.
صعدت لورا الى الطابق العلوي تقيسه طولاً وعرضاً متنقلة بين الغرف كالمجنونة. واستطاعت بعد جهد جبار السيطرة على مخاوفها المتعاظمة، فخرجت الى الحديقة حيث اخذت تداعب كلبيها بانتظار ان يطل يان الذي لم يأت لزيارتها منذ عدة ايام. وسبب غيابه شعوره وشعور لورا بانزعاج رالف من تواجده، بالرغم من جهل دافع هذا الانزعاج. وكالغيث المنعش اطل هانز معلناً وصول يان فهبت لورا لاستقباله على باب الحديقة.
ـ اهلاً وسهلاً بك يا يان. لماذا هذا الغياب المديد؟
صافحها الشاب واساريرها المشرقة لا تخدع الناظر وتخبىء الحزن القابع في عينيها، ثم قال:
ـ اتيت لرؤية رالف فقد ابلغتني سكرتيرته انه الغى جميع المواعيد واحال بعض مرضاه علي. فظننت انه آثر البقاء معك على العمل.
ـ رالف ليس هنا ولكنه اتصل منذ قليل وقال انه سيتأخر.
علق يان مقهقهاً:
ـ قد يكون خرج مع رفيقة جديدة! ثم استدرك، اعتذر لنكاتي السمجة فأنا احتاج لزوجة مثلك تعلمني التهذيب، امسك يان بيدها معلناً، لقد وافقت روزا على شروطي وموعد الزواج اصبح قريباً.
ـ يا له من خبر سار! كم انا سعيدة من اجلكما يا يان! روزا فتاة

طيبة وكلي ثقة من ان شراكتكما ستعرف نجاحاً منقطع النظير! قل لي، هل حددتما موعداً للزواج؟
ـ في اقرب وقت ممكن.
دخلا الى غرفة الجلوس حيث احضر هانز القهوة، فصبت لورا فنجاناً ليان الذي تناوله شاكراً، وقال:
ـ لا اقصد التطفل اذا استوضحتك عن تضايق رالف من ذهابنا الى اوتريشت، فأنا اخشى ان اكون قد اوقعتك في الاحراج. ولا شك في ان الأمور توضحت عندما اخبرته بدافع الزيارة.
ـ اولاً، لم اخبره بشيء، لانك طلبت مني الا افعل. ثانياً، رالف لا يأبه لهذه المواضيع، فانهماكه بعمله يصرفه عنها.
رمقها جليسها بنظرة خاطفة وقال:
ـ انت على حق. من واجبي دعوتكما الى العشاء معي ومع روزا، سوى انني ازمع التحدث الى رالف في شأن البيت قبل ذلك. وضع فنجانه ونهض مودعاً، انا مضطر الى الانسحاب الآن لأن مرضاي في انتظاري. سأتصل برالف لاحقاً.
رافقته لورا الى الباب وراقبته يبتعد بسيارته قائلة في نفسها انه صديق وفيّ ومخلص. ولكن المشكلة فيه اخلاصه لها ولرالف، فتغدو مصارحته بما يجري صعبة وطلب مشورته غير ذي نفع. وهي في كل حال فرحت بزيارته لانها فتحت لها ابواب اعلام رالف بملابسات زيارة اوتريشت. ولكن ما الفائدة من ذلك الآن وعلاقة رالف وجويس تجددت على نار قوية؟ اطلقت لورا تنهيدة عميقة واصطحبت كلبيها الى نزهة في الغابة. مرت ساعات النهار ولا خبر من رالف. فزاد توتر لورا وخوفها، وكرهت السكون المطبق المخيم على البيت والمناقض للثورة المتأججة في داخلها. الضجيج في رأسها يتركز على سؤال واحد: ماذا يفعل رالف وجويس في هذه اللحظات؟
توجهت المرأة المسكينة الى غرفتها، وستائر الظلام قد بدأت

تتسدل، لترتدي ملابس السهرة استعداداً لاستقبال الضيوف على العشاء. وابلغت بعدها هانا انهم قد يضطرون الى تناول الطعام بغياب الطبيب. وفي تمام الساعة الثامنة وصل المدعوون الثلاثة فاستقبلتهم معتذرة عن غياب رالف الناتج عن حالة طارئة استجدت. ولم يصل رب المنزل الغائب الا والضيوف قد بدأوا بتناول الحلوى خاتمة العشاء. واكتفى، بعد ان حيا الضيوف بتهذيب، بتناول بعض الحلوى لانه ليس جائعاً اطلاقاً كما قال.

انتقل الجميع من المائدة الى غرفة الجلوس وخاضوا في احاديث مجاملة مختلفة، في حين ان فكر لورا شارد عما يدور حولها بالرغم من ان البارونة فان ديل آبل انهمكت بشرح احدى وصفات الطعام الهولندية. لكن العجوز المجربة ما لبثت ان فاجأت لورا بقولها:

- اقرأ في عينيك قلقاً عميقاً يا ابنتي بالرغم من جهودك لاخفائه. وارجو ان تتوثق اواصر صداقتنا يوماً لتفتحي لي قلبك.

وما هي الا دقائق حتى انسحب الضيوف الثلاثة وبقيت لورا مع رالف وحيدة تستعد للمواجهة. وسرعان ما اكتشفت ان هوة تفصل بين تعطشها الى الكلام وهدوء زوجها الذي سألها وكأن شيئاً لم يحدث:

- كيف امضيت نهارك يا لورا؟
- الفراغ بعينه.
- الم يأت يان اليوم؟
- نعم، لقد نسيت...
- يا لذاكرتك الضعيفة! اظن انك تدركين مدى انزعاجي من وجودك مع يان مع انني لم اشر الى ذلك قبل الآن!
- لم اعد افهم شيئاً!
- تتظاهرين بالبلاهة ايضاً! يان شاب وسيم ومعجب بك، وانت فقدت عقلك وتتصرفين معه متناسية انك امرأة متزوجة!

ارادت لورا ان توضح له حقيقة العلاقة بيان وتخبره عن روزا

خطيبته، لكن اعصابها خانتها فاكتفت بالصياح:

- وانت؟ ماذا كنت تفعل طوال النهار مع جويس؟ اتظنني اترك المياه تجري من تحتي؟ لقد اتصلت بالفندق وعلمت انكما خرجتما معاً!

ادارت لورا ظهرها وهرعت الى غرفتها وعيناها مغرورقتان بالدموع. لقد اقسمت انها لا تريد رالف بعد اليوم وستبدأ بتنفيذ قرارها منذ الصباح الباكر. وما سهل عليها ذلك انها لم تغف الا وخيوط الفجر قد تسللت الى سريرها فأفاقت بعد رحيل رالف.

وهناك في غرفة الجلوس وجدت رسالة قصيرة بخط يده يقول فيها: عزيزتي لورا، سأغيب عنك بضعة ايام على ان اوضح كل شيء بعد عودتي.

قرأت الرسالة مرات ومرات محاولة ان تستشف منها ما يريح فكرها ويخمد بركان قلقها. غير ان سطور هذه الرسالة لم تحمل شيئاً مطمئناً، فهو لم يحدد وجهة رحلته او سبب غيابه.

وقامت لورا الى الهاتف وسيلتها الوحيدة لكشف خيوط ما يحدث. فأجابها الموظف في الفندق ان السيدة جويس لم تعد منذ ان غادرت في الأمس وبيدها حقيبة صغيرة، مما يعني انها سترجع لأخذ بقية اغراضها. لقد نجحت جويس مرة جديدة بنيل مبتغاها ولم يبق امام لورا سوى خيار واحد: الرحيل. وصعدت الى غرفتها باكية حيث بدأت بجزم حقائبها حريصة على عدم اخذ شيء مما اشترته بأموال رالف. وبعد الانتهاء جلست تخط له رسالة وداعية قصيرة تمنت له فيها السعادة وتركت عنوان محامي والدها ليتصل به اذا لزم الأمر. واكتفت بما قل ودل لانها كتبت بالدمع اكثر مما فعلت بالحبر، والاختصار في طوي هذا الفصل المؤلم من حياتها يخفف من وطأة العذاب.

٩ - انشودة الحب

تأكدت لورا من ان هانز وهانا والخادمتين الاخريين مشغولون كل في عمله، وتفحصت محتويات حقيبة يدها قبل ان تحمل اغراضها وتنزل السلم بهدوء. في الطابق الأرضي وضعت الرسالة في المكتبة وتركت اخرى لهانز تبلغه فيها انها اخذت السيارة وتذكره بوجوب اطعام الكلبين. ثم توجهت لتوديع الحيوانين الصغيرين قبل ان تصعد الى الفيات البراقة دوماً بفضل اعتناء هانز. ادارت المحرك وسلكت طريق امستردام بدون ان تلقي نظرة اخيرة الى ما تمنت ان يصبح عشاً لهنائها.

وصلت الى المطار حيث تركت السيارة وابتاعت تذكرة سفر على اول طائرة متجهة الى لندن. ولم يدم انتظارها اكثر من ساعة نظراً

لكثافة حركة الطيران في مطار امستردام.

في الطائرة غرقت في مقعدها وبين يديها كدسة من المجلات تقرأ ما فيها ولا تفهم، وتنظر الى صورها ولا ترى شيئاً. فامامها تتراقص خيالات الأمس القريب واليوم المجنون والغد المجهول. فالى اين تذهب بعد ان تحط الطائرة في مطار لندن؟ وظل هذا السؤال يتأرجح في رأسها بعد هبوط الطائرة الى ان ولجت قاعة الوصول، فهناك رأت جويس واقفة بكامل اناقتها تحمل حقيبة سفر كبيرة. وجاء هذا المشهد تتويجاً للكابوس الذي تسبح فيه لورا، ففركت عينيها كأنها ترى امامها سراباً لا حقيقة، وهرعت جويس نحوها سائلة:

- لورا! ماذا تفعلين هنا؟ هل جئت للبحث عني؟ هل ازدادت حالة لاري سوءاً؟

- عما تتكلمين؟

- الم يخبرك رالف انه اصيب بجلطة دموية عندما كان يقود سيارته. ولحسن الحظ صادف مرور رالف فأنقذه ونقله الى المستشفى، ثم جاء واصطحبني من الفندق اليه باستطاعتك الاحتفاظ برالف هذا، رجل حاد الطباع ومصاب بجنون العظمة، فلم يكف طوال الوقت عن اطلاق اوامره . . . تصوري انه عنفني لمجرد مجيئي الى لندن ولم يفهم انني مضطرة لاستلام فستان كنت قد اوصيت عليه لدى احدى اهم دور الازياء! ثم ما الفائدة من وجودي في المستشفى المقيت حيث مناظر الادوية والحقن والاثواب البيضاء البشعة؟ لقد قلت لرالف انني اكره رؤية المرضى والتعاسة فحدجني بنظرات. . . توقفت عن الكلام ثم اضافت، لقد اكد لي رالف ان لاري سيشفى من وعكته.

سألت لورا باندهاش:

- هل امضى رالف كل نهاره مع لاري في المستشفى؟

- نعم ظل هناك حتى زال الخطر، الم يخبرك بما حصل؟

- لم يتح له ذلك لاننا استقبلنا بعض الضيوف في العشية، ولانه

غادر في الصباح قبل ان افيق.

ـ لقد اخطأت بالنسبة الى رالف، فقد اخبرني احد الاطباء في المستشفى انه من النوع المتفاني في عمله والمؤمن برسالة الطب السامية. يا لهذه السخافة! وذكر لي ان زوجك يعالج رجلاً مسناً مجاناً، لا بل هو يمده بالمال ليعيش. هذا النوع من الرجال يا عزيزتي لا يعجبني. فأنا واثقة من انه ينساك احياناً ويبقيك حبيسة المنزل. اظن اني سأبقى مع لاري فهو، بعد البحث والتدقيق، افضل من رالف.

ـ هوذا رقم رحلتك يظهر على اللوحة الالكترونية. اتمنى للاري الشفاء العاجل.

اسرعت جويس نحو قاعة المسافرين تاركة شقيقتها تقف حائرة في وسط زحمة الركاب لا تدري ما تفعل. فهي قد ارتكبت بتركها المنزل عملاً احمق وقطعت شعرة معاوية مع زوجها. والآن لن يهرع رالف بالطبع لاعادتها اليه لانه لا يحبها ولا يحب جويس، بل سيعود الى متابعة حياته الهادئة ومزاولة اعماله اليومية براحة.

استقلت لورا الباص الذي نقلها الى محطة واترلو للسكك الحديدية في وسط لندن. وهناك ركبت في القطار المتوجه الى وارنهام ومنه الى حيث اقلتها سيارة اجرة الى قصر كورف، الفندق الذي امضت فيه العطلة مع رالف. حظيت بغرفة شاغرة بسهولة لأن موسم العطلة شارف على الانتهاء، فصعدت اليها لترتب ثيابها والعودة فوراً الى قاعة الطعام لتسد جوعاً اخذ منها كل مأخذ. وبعد العشاء اوت الى سريرها لتريح جسمها المرهق بعد هذه الرحلة الطويلة.

فتحت عينيها وقرص الشمس شرع يطل على الدنيا بخفر. وخطر لها ان تتصل برالف الذي قد يكون سعيداً برحيلها عنه وتحرره من نير الزواج. كانت حمقاء حقاً عندما تركت البيت مع ان اي امرأة اخرى تفعل الشيء نفسه لو وجدت في موقفها. لماذا لم يطلعها رالف على ما

جرى للاري بدلاً من توجيه تهم الخيانة اليها جزافاً؟ كيف تصوّر انها تفكر يوماً بغيره، وخاصة بان اعز اصدقائه؟ والغريب ان الصدف تتدخل احياناً لتعقيد المشاكل، فتأخر لورا في النوم وذهاب رالف المبكر جعلا اي ايضاح متبادل للالتباس غير ممكن. وهكذا قد يذهب زواج لورا ضحية سوء الطالع... واخذت تتقلب في فراشها والقنوط يملأ قلبها ثم هبت لتهرب من وساوسها واستسلمت لمياه الحمام المنعشة مثل ندى الربيع. وفي حبيبات المياه الماسية المنفرطة على جسمها تراءت لها نتف من السعادة المهدورة التي لاحت عندما اظهر رالف تجاهها شيئاً من الاعجاب... حبذا لو ترى جويس رالف وتخبره ان شقيقتها وصلت الى لندن، ولكن جويس قد ترى في ابتعاد لورا فرصة مناسبة للعودة الى رالف في حال وفاة المسكين لاري. صحيح ان الصغرى تذمرت من رالف الطاغية عندما التقتا في مطار لندن ولكن لا شيء يمنع من بناء الجسور من جديد وارساء العلاقة العاطفية السابقة على اسس صحيحة. نزلت لورا الى مقصف الفندق وتناولت طعام الفطور، ثم ذهبت في نزهة الى المدينة المجاورة وعادت ظهراً لتجد ان الطاولة المحجوزة لها هي الطاولة نفسها التي تشاطرتها ورالف، ومن قام بهذا الحجز هو مدير الفندق الذي تعرف اليها وارغمها بذلك على اختلاق عذر يبرر غياب زوجها بانه مسافر في رحلة عمل...

امضت المرأة الحزينة فترة بعض الظهر بزيارة القسم الاثري من قصر كورف وشعرت بالراحة والامان في جنباته الواسعة. فالأبهة والعظمة تنسيان المرء همومه وتوغلانه في عالم بهيج يرده الى الازمنة الغابرة على اجنحة الاحلام والتخيلات... وفعلاً، هدأت اعصاب لورا وجلست في صالون الفندق تتناول الشاي وتفكر بالمستقبل. وقالت انها تستطيع بما لديها من مال المكوث بضعة اسابيع في الفندق والعودة بعد ذلك الى منزل والدها بانتظار ما سيبدر من رالف. بعد العشاء تعرفت الى بعض النزلاء اللطفاء فأمضوا معاً وقتاً ممتعاً، ولما

دعوها الى مرافقتهم في نزهة على الجسر القريب اعتذرت زاعمة ان لديها رسائل تكتبها. وهي بالفعل تنوي توجيه رسالة الى محامي الدها، ولكن بعد منح رالف اربعة او خمسة ايام للتحرك. غير ان لا مانع من العمل على تحضير مسودة هذه الرسالة الآن. وصرفت لورا وقتاً طويلاً في تنقيح مضمون ما كتبته حتى يأتي واضحاً معبراً عن موقفها من الطلاق في حال طلبه رالف.

في اليوم التالي استأجرت دراجة هوائية وقصدت البحيرة الزرقاء. وكان ذلك احسن تمرين رياضي خاصة وانّ الطرقات خالية من اي سيارة. وسرعان ما خفق قلب لورا لما لمحت البحيرة السحرية الحالمة وجوقة العصافير حولها ترنم انشودة الفرح والصفاء. وبحرية تامة توجهت الى المقعد حيث جلست ورالف، ومن هناك اشبعت نفسها من روعة المشهد وحلاوة الجو الذي يلفه سلام وطمأنينة احوج ما تكون لورا اليهما في هذه اللحظات التعيسة في حياتها... وتذكرت الآمال والأماني التي بنتها هنا على هذا المقعد الخشبي والتي تهاوت كقلعة من ورق....

ولم تشعر لورا بالوقت يمر، وتسلل الجوع اليها في غفلة، فذهبت الى المقهى الصغير الكائن في المنتزه لتناول ما يسد رمقها بانتظار بلوغها الفندق والتهام عشاء يجدد نشاطها. ونسجت على المنوال نفسه اربعة ايام، تأمل على مقعد البحيرة الزرقاء واشتياق لرالف وحتى الى هانا وهانز وكل الاشياء التي عرفتها في هولندا... وفي اليوم الخامس قررت توجيه الرسالة الى المحامي لأن الأمر لم يعد يتحمل الانتظار، لأنها اعتادت نوعاً ما على حياة الوحدة من جديد وتعلمت كيف تحبس دموعها كلما فكرت برالف. كان اتخاذ القرار في الصباح الباكر على ان ينفذ في المساء عند عودتها من المنتزه الذي صار ملاذاً لها وبيتاً لاحلامها المرفرفة على جنبات البحيرة والمتمايلة مع اوراق الاشجار الآخذة بالاصفرار.

عقدت منديلاً حول شعرها وارتدت ملابس مريحة، وعلى

الدراجة توجهت الى البحيرة. اوقفت الدراجة وشرعت تشق طريقها نحو مقعدها المفضل حيث جلست ساعات وساعات تصغي الى صوت الصمت يقطعه حفيف الاوراق تهزها رياح اخر الصيف. وفجأة سمعت وقع خطى على الممر فلم تفتح عينيها الا بعد لحظات لتجد رالف منتصباً امامها.

حدقت لورا فيه وقلبها يكاد يقفز من صدرها، ولم تقو على الكلام او حتى على التنفس. جلس الرجل الى جانبها صامتاً وامسك بيدها برفق ونعومة لم تعهدهما فيه من قبل، كذلك لاحظت ان التعب والقلق رسما على وجهه خطوطاً واضحة. ولما ابتسم بعذوبة زالت الخطوط عن محياه وقال:

ـ يا حبيبتي...

وما لبث ان احكم قبضته على اصابعها فآلمها حتى كادت تصرخ ولكنه سبقها:

ـ لقد هجرتني اذن! وتناول اصبعها ليعيد اليه عنوة محبس الزواج ويطبع على يدها قبلة قوية، ثم اضاف، انت مدينة لي بايضاح.

حرر يدها وعانقها بحنان منتشلاً اياها بلحظة من عالم اليأس الى عالم الأمل، وغرقا دقائق طويلة في عناق حميم، قالت بعده:

ـ لقد حصل سوء تفاهم توضح بعضه عندما التقيت جويس في المطار واخبرتني بما حصل للاري، ضربت صدره العريض بقبضتها الناعمة وتمتمت، لماذا لم تطلعني على ما جرى؟

ـ اقلت انك شاهدتها في المطار؟ ولكن، لماذا لم تذكر لي جويس ذلك؟

ـ كيف علمت اذن انني هنا؟

ـ اتصلت بالمنزل فأبلغني هانز انك رحلت منذ ساعات تاركة رسالة تتعلق باطعام الكلبين. مما اقلقه. لذا الغيت محاضرتي وعدت ادراجي الى البيت لافاجأ برسالتك العظيمة. وبدأت ابحث عنك كالمجنون، اتصلت بوالدك وقصدت جدك، كما سألت جويس التي

قالت انها لا تعرف شيئاً. الى ان اتصل احدهم من المطار يسأل عن مصير سيارتك الموقفة هناك فعلمت فوراً وجهة رحيلك. الا تذكرين ما قلت عندما كنا جالسين هنا، اذا شئت الفرار يوماً سألجأ الى هذا المكان.

وجهت لورا نظراتها الى عينيه وسألت:

ـ ظننتك مغرماً بجويس فقررت التخلي عنك لافساح المجال امامكما. . .

ضحك رالف مقاطعاً:

ـ اتعنين ان جويس اوهمتك بكل هذه التفاهات؟ يا لها من حمقاء! الم تلاحظي انني فقدت اي اهتمام بها منذ ان زارتنا في المنزل المرة الأولى. فأنا وقعت في شباك حبك منذ مدة ولكنني جبنت عن الاعتراف بذلك لك او لنفسي. وتوضحت لي مشاعري اكثر عندما رأيتك من نافذة عيادتي تتجهين بالسيارة نحو امستردام. . . ولما رأيت سيارتك فارغة على قارعة الطريق كدت اصاب بنوبة قلبية.

ـ كل هذا لا يعني ان تصرفك معي كان محموداً وكذلك موقفك من يان المسكين. لقد ذهبت معه الى اوتريشت لاقنع خطيبته بالزواج والسكن في منزلك، اما انت فبدأت تختلق قصصاً لا وجود لها الا في خيالك المريض!

كتم رالف قهقهة جديدة ورمقها بنظرات جائعة فارتبكت لورا وصاحت:

ـ لا تنظر الي بهذه الطريقة فأنا اعلم اني امرأة قبيحة!

ـ لا انت اجمل فتاة على وجه الأرض. والله لو صحت شكوكي لاطحت رأسك ورأس يان!

احست لورا انها بالفعل تحولت الى اجمل فتاة على وجه الأرض بضربة عصا من الساحر الحب.

ـ لم يخطر لي ابداً انك تحفل بي يا رالف، فأنا لا اتمتع بالحسن ولا اجيد فن التحدث. . .

وضع يده على فمها. فأسكتها وقال:

ـ يا لعنادك! قلت لتوي انك جميلة، واقول الآن انني استسيغ الاصغاء الى اية كلمة تخرج من فمك.

ضمها الى صدره واغرقها بعناق عبر عن مشاعره ولوعة اشتياقه، فقالت لورا بارتباك:

ـ اكاد لا اصدق ما يجري! افي حلم انا ام في حقيقة؟ هناك اشياء كثيرة ما تزال غامضة، وبعد صمت اضافت، اظن ان فنجاناً من الشاي مفيد جداً الآن.

ـ انت شاحبة وهزيلة جداً يا حبيبتي، وكل ذلك حصل بسببي. سأحضر لك الليلة شاي العالم كله، ونعود في الغد الى المنزل.

ـ باستطاعتنا النوم في الفندق.

ـ اعلم ذلك فقد مررت به وابلغت المدير اننا سنعود اليه يوماً مع الاطفال.

ـ الاطفال؟

اجاب رالف بسعادة:

ـ نعم، فالمسألة مسألة وقت ليس الا.

اختلطت الأمور على لورا فهمست:

ـ رالف، انت حبيبي!

ـ اعد بألا اسبب لك حزناً والماً بعد الآن يا حلوتي.

ـ اظن اني سأبدأ بالبكاء. . .

لم تخطىء لورا اذ انحدرت الدموع على وجنتيها فانهمك رالف بمسحها بأصابع كالجمر احراقاً.

ـ حسناً يا لورا، سأمنحك عشر دقائق للبكاء قبل الشاي.

ضحكت المرأة وسألت:

ـ هل ابدو قبيحة جداً بمنديلي وثيابي البلهاء؟

ـ اعليّ ان اردد انك اجمل فتاة على وجه البسيطة؟
فأجابت من خلف عبرات السعادة:
ـ نعم يا حبيبي.